



This book is provided in digital form with the permission of the rightsholder as part of a Google project to make the world's books discoverable online.

The rightsholder has graciously given you the freedom to download all pages of this book. No additional commercial or other uses have been granted.

Please note that all copyrights remain reserved.

About Google Books

Google's mission is to organize the world's information and to make it universally accessible and useful. Google Books helps readers discover the world's books while helping authors and publishers reach new audiences. You can search through the full text of this book on the web at <http://books.google.com/>

الإيمان

خصائصه
علاماته
ثمراته

أحمد عز الدين البيانوني

الجزء الأول

دار السلام

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

سِلْسِلَةُ الْعَقَائِدِ
١

الْإِيمَانُ بِاللَّهِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ،
وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد ..

فإن من خصائص العقيدة الإسلامية وضوحها وسلامتها
من التعقيد ، حيث يسهل فهمها على العقل السليم ، وتسرع
إلى تقبلها القلوب والفطرة البشرية .

وقد كُتِبَت العقيدة الإسلامية بأساليب متعددة ، حسب
العصور ولغاتنا ، وتنوع أساليب التأليف فيها ... حتى كادت
تطفئ بعض الأساليب على خاصية وضوحها ، وتُضيع جمالها ،
بل أصبحت مادة العقيدة الإسلامية في بعض الأزمان والبلدان
من أصعب المواد الدراسية على الدارسين . وأضحت في بعض
كتبها المعتمدة على علم الكلام والجدل ، عقيدة نظرية جافة ،
تخاطب العقول ، ولا تلامس بشاشتها القلوب . فتلاشى
نورها ، وخفيت آثارها الطيبة في حياة الناس ، بعد أن كانت

محور حياتهم ، وأساس تحركهم وسكونهم ...

ومن هنا : اهتم الدعاة بإعادة النظر في التأليف فيها ، ودعوا إلى تجريدها عن أساليب علم الكلام والجدل ، وعرضها واضحة سهلة على الناس جميعاً ، على مختلف مستوياتهم ، مقتبسين ذلك من منهج القرآن الكريم في تقريرها ، ومسيرة الرسول ﷺ في تبیینها .

وكانت مجموعة العقائد هذه ، للسيد الوالد الشيخ أحمد عز الدين البیانونی - رحمه الله تعالى - من أولى المبادرات الناجحة في هذه السبیل .

فكان أسلوبه في كتابتها - كما يرى القارئ الكريم - سهل المأخذ ، قريب المنال ، يخاطب العقل والقلب معاً ، ويلحق العلم بالعمل ، فهو إذ يتحدث عن الإيمان بالله عز وجل وأركانه ، يُلحِّقه بالحديث عن خصائص الإيمان وعلاماته وثمراته ، ويستغرق حديثه عن الجانب الثاني ثلث المجموعة ، لأهميته العملية في دراسة العقيدة ...

ومن هنا : كان الإقبال عليها كبيراً ، وطلب الشباب لها

كثيراً ، مما دفعنا أن نعيد إخراجها للناس على شاكلة سلسلة
العبادات في مجموعة كاملة ، وأخرى متفرقة .

وكان فضل السبق في إخراجها على هذا الوجه المشرق
للأخ الكريم السيد عبد القادر بكار ، صاحب مؤسسة دار
السلام للطباعة والنشر والتوزيع - جزاه الله خيراً -

أسأل الله عز وجل أن ينفع بها عباده المؤمنين ، وأن
يجعلها من الصدقات الجارية في صفحات مؤلفها إلى يوم
الدين .

والحمد لله رب العالمين .

كتبه : ولد المؤلف
محمد أبو الفتوح البيانوني

١ / محرم / سنة ١٤٠٥ هـ

٢٦ / ٩ / سنة ١٩٨٤ م .

التعريفُ بالمؤلف

هو: الشيخ أحمد عز الدين البیانونی، لللقب بأحمد الصیاد.
ابن الشيخ عیسی البیانونی رحمهما الله .

والبیانونی:نسبة إلى قرية «بیانون» التي تقع شمالي مدينة حلب على بعد خمسة عشر (کیلو متراً) تقريباً وهي مسقط رأس والده الشيخ عیسی رحمه الله تعالى .

ولد الشيخ أحمد عام ١٣٣٠هـ - ١٩١٣م في مدينة حلب، واستقر مقامه فيها مع والده رحمه الله تعالى، وكان والده من كبار علماء البلاد المشهورين بالعلم والتقوى والصلاح .

عمل المؤلف في حقول التربية والتعليم المختلفة، حتى طلب الإحالة إلى التقاعد عام ١٩٦٨م. كان مهتماً بالدعوة الإسلامية عامة، والتربية العملية خاصة، أخذاً بالعزائم حريصاً على الأمر بالمعروف والنهي عن المنکر، حتى عرف بذلك في نفسه وأسرته وإخوانه ومحبيه ...

انطلق عام ١٩٦٥ م في تكوين مدرسة تربوية خاصة نسبت إليه ، وعرفت فيما بعد ، باسم « جماعة أبي ذر » نسبة إلى مكان تأسيسها ، حيث نشأت في جامع أبي ذر في حي الجبيلة بحلب .

اهتمت هذه الجامعة بالتربية الإسلامية الدقيقة ، وعنيت بتنشئة الشباب فيها على القدوة العملية الصالحة ، في مجالات الحياة كافة .

كما عني رحمه الله تعالى بكتابة ونشر الكتب الإسلامية ذات الحجم الصغير ، وآلف في ذلك سلسلة العقائد ، وسلسلة العبادات ، وسلسلة من هدي الإسلام ، حتى زادت مؤلفاته فيها على عشرين كتاباً . وقد لاقت مؤلفاته هذه قبولاً واسعاً في مختلف المستويات والبلدان نظراً لما تمتاز به من أسلوب سهل ميسر ، ومادة علمية نافعة .

توفي رحمه الله يوم الجمعة ١٧ ذي الحجة ١٣٩٥ هـ الموافق ١٠ كانون الأول ١٩٧٥ م ودفن في مقبرة الأعرابي في مدينة حلب ، رحمه الله تعالى رحمة واسعة ، وأقر عينه بالشواب الجزيل ، والأجر المستقر إن شاء الله إلى يوم الدين .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى :

﴿إِنْ رَبُّكَ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ، ثُمَّ
اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ، يُغْشِي اللَّيْلَ
النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا ، وَالشَّمْسُ
وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مَسْجُورَاتٌ بِأَمْرِه ،
أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ، تَبَارَكَ اللَّهُ
رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) .

صدق الله العظيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

اللهم لك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، ملء السموات والأرض ، جلّتْ حُكْمَتُكَ ، تهدي من عبادك من تشاء ، وتضل من تشاء .

نحمدك على ما أنعمتَ وتفضلتَ وهديت ، حبّبتَ الإيمان إلى عبادك المؤمنين ، وزينته في قلوبهم ، وجعلتهم من الراشدين السعداء .

ونشهد أن لا إله إلا أنت ، وحدك لا شريك لك .

ونشهد أن سيدنا محمداً عبدك ورسولك .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد ، داعي العباد إلى الإيمان واليقين والحق المبين .

وعلى آله وصحبه والتابعين ، وتابعيهم على الهدى إلى يوم الدين .

وبعد : فإن الإيمان أول علامات السعادة ، به ارتقى المؤمنون الأولون في معارج الكمال ، وتسابقوا إلى الفضائل ، وتنزهوا عن النقائص والرزائل ، فعاشوا على وجه الأرض كالملائكة الأطهار ، وسَمَوْا إلى أوج العزة والقوة والفخار ، فكانوا مثل الإنسانية الأعلى ، رفعةً وفضلاً وكرامةً ونُبلاً .

ولا عجب . فبالإيمان زكّت نفوسهم ، وتهذبت أخلاقهم : فكانوا رجال الصدق والإخلاص والصبر والتقوى والرحمة والتواضع والحياء والعفاف والجود ، والبذل والإيثار .. وبالإيمان صلّح مجتمعهم :

فكان مجتمعاً فاضلاً ، يأمر أفرادُه بالمعروف وينهون عن المنكر ، تعلو فيه كلمة الحق ، ودعوة الحق ، ويتآخون في الله ، ويتناصحون في الله ، ويتعاونون على البر والتقوى ، ويغيثون الملهوف ، ويقضون حاجة المحتاج ، تربط بين أفرادِه أخوة الإيمان ، وتجمعهم جامعة الإيمان ..

وبالإيمان جاهدوا في الله حق جهاده ، فبذلوا الأموال والأرواح في سبيل الله ، ولإعلاء كلمة الله ، وحملوا لواء

الإسلام عالياً ، وبلغوا به الشرق والغرب ، وأخرجوا الناس من عبادة العباد ، إلى عبادة الله وحده .

وبالإيمان عزّوا وسادوا ، حتى ذلّت لهم القياصرة ، وخضعت لهم الأكاسرة

ثم خلقنا من بعدهم ، ودرجنا على عكس ما كانوا عليه .

خبا نور الإيمان في قلوبنا ، فتدنّست نفوسنا ، وعرت عن الفضائل التي كانوا عليها ، فظهر فينا الكذب والكبر والقسوة والبخل والأثرة وخلف الوعد ..

وفسد مجتمعنا ، ففشت فيه المنكرات بلا نكير ، حتى ألفها الكبير ، وشبّ عليها الصغير ، فهبطنا من علياء عزتنا ، وطمع فينا العدو ، حتى غزانا في عُقر دارنا ، ومَلَك علينا مصادرها ومواردنا ، وسيرنا في ركاب مصالحه ..

﴿ ذلك بأن الله لم يكُ مغيّراً نعمةً أنعمها على قوم ، حتى يغيّروا ما بأنفسهم .. ﴾ ^(١) .

فإذا أردنا أن نعود إلى ما كان عليه سلفنا الصالح ، من
خير وصلاح وعزة وقوة وسيادة .. فلنجدد إيماننا ، ففيه
فلاحنا إذا أردنا الفلاح ، وبه عزتنا إذا أردنا العزة ، وهو
قوتنا إذا أردنا القوة ..



ولبيان ذلك بالتفصيل ، جمعت في هذه الرسالة ما
استطعت من خصائص الإيمان ، وعلامات الإيمان ، وثمرات
الإيمان ، ليطلع عليها المسلمون اليوم ، ويعرفوا منها ما
جهلوه ، ويذكروا منها مانسوه ، وليستيقظوا من سباتهم ،
فيخرجوا من هذه الهوة السحيقة التي وقعوا فيها . ولا سبيل
إلى ذلك ، إلا بالعودة إلى الإيمان ، والعمل بالإسلام ...

وهم قادرون على ذلك إذا صدقوا ، وبالغون ما أرادوا إذا
عزموا ، والله يقول الحق ، وهو يهدي السبيل .

في أواخر جمادى الأولى ١٣٩٤ هـ .

أحمد عز الدين البيانوني

الإيمان

تعريفه :

الإيمان في اللغة : هو التصديق بالقلب .

والإيمان في الشرع : هو الاعتقاد الجازم بالقلب ، والإقرار باللسان .

الأمر به :

وقد أمرنا الله تعالى بالإيمان فقال :

﴿ قل : يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً ، الذي له ملك السموات والأرض ، لا إله إلا هو يحيي ويميت ، فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي ، الذي يؤمن بالله وكلماته ، واتَّبِعُوهُ لعلكم تهتدون ﴾ ^(١) .

وقد أمرنا الله تعالى بالثبات على الإيمان ، والازدياد منه ، فقال :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَالْكِتَابِ
الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ ، وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ ﴾ ^(١) .
أركانہ :

الإيمان : « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، واليوم
الآخر ، وبالقدر خيره وشره » ^(٢) .

مكانة الإيمان والمؤمن :

الإيمان أفضل الأعمال .

عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال :

(قلت : يا رسول الله : أي الأعمال أفضل ؟)

- أي أكثر ثواباً عند الله تعالى -

قال : « الإيمان بالله ، والجهاد في سبيله » ^(٣) .

ولكرامة المؤمنين على الله تعالى ، أمر نبيه ﷺ ، أن يُلِّينَ

(٢) رواه مسلم .

(١) ١٣٦ - النساء .

(٣) البخاري ومسلم .

جانبه لهم ، ويتواضع لهم .

فقال تعالى : ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(١) .

وفي الحديث القدسي : « من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب - أي أعلمته أنني محارب له - وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحبَّ إليَّ مما افترضته عليه ، ولا يزال يتقرب إليَّ عبدي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت في شيء أنا فاعله ، ترددي في قبض نفس المؤمن ، يكره الموت ، وأنا أكره مساءته » ^(٢) .

وفي رواية : « من أهان لي ولياً فقد بارزته بالمحاربة ، وما ترددت في شيء أنا فاعله ، ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن ، يكره الموت ، وأكره مساءته ، ولا بدُّ له منه » .

(٢) رواه البخاري .

صحبة المؤمن :

ولعظيم مكانة المؤمن عند الله تعالى أمر بالكينونة معه ،
فقال عز وجل :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ
الصَّادِقِينَ ﴾ ^(١) .

والصادقون : هم الذين استوت ظواهرهم وبواطنهم ،
فصدقوا في إيمانهم ، وأخلصوا لله في أعمالهم .

وقد أمر النبي ﷺ أن لا يُصاحَب إلا مؤمن ، فقال :
« لاتصاحب إلا مؤمناً ، ولا يأكل طعامك إلا تقي » ^(٢) .

التحذير من أذى المؤمن وخذلانه :

ولعظيم مكانة المؤمنين عند الله تبارك وتعالى ، هدّد من
يؤذيه ، واعتبر أذيتهم من الكبائر .

قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ

(٢) أبو داود والترمذي .

(١) ١١٩ - التوبة .

بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً ﴿١﴾ .

« ولا يرى مؤمن من أخيه عورة ، فيسترها عليه ، إلا أدخله الله بها الجنة » (٢) .

وفي الحديث الشريف : « يامعشر من آمن بلسانه ، ولم يدخل الإيمان قلبه ! لا تغتابوا المسلمين ، ولا تتبعوا عوراتهم ، فإنه من يتبع عورة أخيه المسلم ، يتبع الله عورته ، ومن يتبع الله عورته ، يفضحه ولو كان في جوف بيته » (٣) .

ومن كلام ابن عباس رضي الله عنهما : إن الله حرم من المؤمن دمه وماله وعرضه ، وأن يُظَنَّ به ظن السوء .

ونظر ابن عمر رضي الله عنه يوماً إلى الكعبة فقال :

ما أعظمك وما أعظم حرمتك ، والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك .

وفي الحديث الشريف : « أيُّ رجل أشاع على رجل مسلم

(٢) الطبراني .

(١) ٥٨ - الأحزاب .

(٣) أبو داود .

كلمة هو منها بريء ، يرى أن يشينه - أي يعيبه - بها في الدنيا ، كان حقاً على الله أن يرميه بها في النار .

ثم تلا مصداقه من كتاب الله تعالى :

﴿ إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة ﴾ ^(١) .

وفي الحديث الشريف : « سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر » ^(٢) - أي فعل الكافرين - .

إذا قال الرجل لأخيه : « يا كافر ، فقد باء بها أحدهما ، فإن كان كما قال ، وإلا رجعت عليه » ^(٣) .

« المؤمن أخو المؤمن فلا يحلّ لمؤمن أن يبتاع على بيع أخيه ، ولا يخطب على خطبة أخيه حتى يَئْذَرَ - أي يترك - » ^(٤) .

وقد حذّر النبي ﷺ من خذلان المؤمن مع القدرة على

(٢) البخاري ومسلم .

(٤) مسلم .

(١) ١٩ - النور .

(٣) البخاري ومسلم .

نصرته .

ففي الحديث الشريف : « من أذلَّ عنده مؤمن ، فلم ينصره ، وهو يقدر على أن ينصره ، أذلَّه الله على رءوس الأشهاد يوم القيامة » (١) .

وقد حذر النبي ﷺ من إغصاب المؤمن .

ففي الحديث الشريف : (أن أبا سفيان أتى مرة على سلمان وصهيب وبلال في نفر ، فقالوا :

ما أخذت سيوف الله من عدو الله مأخذها .
أي لم تستوفِ حقها منه .

فقال أبو بكر رضي الله عنه : أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم ؟ !

فأتى النبي ﷺ فأخبره .

فقال : « يا أبا بكر ! لعلك أغضبتهم ؟ لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك .

فأتاهم أبو بكر فقال : يا إخوانه ! أغضبتكم ؟

قالوا : لا ، يغفر الله لك يا أخي ^(١) .

حذر النبي ﷺ أبا بكر رضي الله عنه من إغضابهم ، وهم من ضعفاء المسلمين ، وفيهم بلال الذي أنقذه أبو بكر من الرق والعذاب حين اشتراه بالمال فأعتقه ، ولم تشفع هذه السابقة الصالحة لأبي بكر في كلمة ، يُخشى أن تُغضب بلالاً ومن معه .

فلله ما أعظم مكانة المؤمن عند ربه عز وجل ! ؟

الإيمان أساس قبول الأعمال

ولعظيم مكانة الإيمان ، جعله الله تعالى أساس قبول الأعمال ، فلا عمل مقبول إلا من بعد الإيمان .

قال الله تعالى :

﴿ ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو

(١) مسلم .

مؤمن ، فأولئك يدخلون الجنة ﴿^(١)﴾ .

﴿ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن ، فأولئك كان سعيهم مشكوراً﴾ ﴿^(٢)﴾ .

﴿فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه﴾ ﴿^(٣)﴾ .

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه ، أن رجلاً من الكفار جاء مقنعاً بالحديد ، يسأل رسول الله ﷺ أن يخرج مع المسلمين لقتال المشركين .

فقال له رسول الله ﷺ : « أسلم ثم قاتل » .
فأسلم فقاتل فقتل .

فقال المصطفى ﷺ : « عَمِلَ قَلِيلاً وَأُجِرَ كَثِيراً » ﴿^(٤)﴾ .

وحسب الإيمان مكانة رفيعة عند الله عز وجل ، أنه ذكره في القرآن الكريم بين الدعوة إليه ، والثناء عليه ، والوعد

(١) ١٢٤ - النساء .

(٢) ١٩ - الإسراء .

(٣) ٩٤ - الأنبياء .

(٤) البخاري ومسلم .

الصالح للمؤمنين .. في أكثر من أربعين وثمانئة مرة .

ليس الإيمان دعوى باللسان :

قال الله تعالى : ﴿ ومن الناس من يقول : آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين .

يخادعون الله والذين آمنوا ، وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون ﴾ ^(١) .

فمن ادّعى الإيمان بلسانه ، من غير أن ينطوي عليه قلبه ، فهو منافق ، والنفاق أقبح أنواع الكفر .

ولهذا قال الله تعالى في المنافقين :

﴿ إن المنافقين في الدّرك الأسفل من النار ﴾ ^(٢) .

ومن شأن المنافق ، أن يخالف قوله فعله ، وسره علانيته ، ومدخله مخرجه ، ومشهده مغيبته ...

والمنافق خبيث الطبع ، ذميم الأخلاق ، يصدّق بلسانه ،

وينكر بقلبه ، ويخالف بعمله ، ويصبح على حال ، ويمسي على غيره ، ويمسي على حال ، ويصبح على غيره ، ويميل ميل السفينة ، كلما هبَّت الريح هبَّت معها .

لهذا كله كذب الله تعالى دعوى المنافقين ، حين ادَّعوا الإيمان .

قال الله تعالى : ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ ، قَالُوا : نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ (١) .

وقال عز وجل : ﴿ وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ ، وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴾ (٢) .

وقال تبارك وتعالى : ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ : لَمْ تُؤْمِنُوا ، وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا ، وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي

قلوبكم ﴿^(١)﴾ .

وهذا يدل على أن الإيمان أخص من الإسلام ، كما هو
مذهب أهل السنة والجماعة ، ويدلّ عليه حديث جبريل عليه
الصلاة والسلام : حين سأل النبي ﷺ عن الإسلام ، ثم عن
الإيمان ، ثم عن الإحسان ...

فترقى من الأعم إلى الأخص ، ثم للأخص منه .

الإيمان والعمل الصالح :

الإيمان والعمل توءمان ، فلا يتم إيمان إلا بالعمل
الصالح .

وقد قرن الله تعالى بينهما في القرآن الكريم ستين مرة ؛
منها :

قوله تعالى : ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين :
الذي يؤمنون بالغيب ، وقيمون الصلاة ، وما رزقناهم
ينفقون ﴾ ^(١) .

وقوله عز وجل : ﴿ إِن الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا
وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَعَمِلُوا
صَالِحًا ، فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ، وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ، وَلَا هُمْ
يَحْزَنُونَ ﴾ ^(١) .

وقوله سبحانه : ﴿ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ،
فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴾ ^(٢) .

وفي الحديث الشريف : « الإيمان والعمل أخوان شريكان
في قَرَنٍ واحد ، لا يقبل الله أحدهما إلا بصاحبه » ^(٣) .

« الإيمان والعمل قرينان ، لا يصلح كل واحد منهما إلا مع
صاحبه » ^(٤) .

ومن كلام الحسن البصري رضي الله عنه : ليس الإيمان
بالتنبي - أي بالتشهي - ولا بالتحلي - يعني التزين بالقول -
ولكن هو ما وقر في القلب ، وصدقه العمل .

(٢) ٦٧ - القصص .

(٤) الحاكم .

(١) ٦٢ - البقرة .

(٣) الحاكم والديلمي .

فالإيمان بالله ورسوله ، يستتبع العمل بكل ما أمر الله تعالى به ، وما أمر به الرسول ﷺ ، من عقائد وعبادات ومعاملات وأخلاق ...

والإيمان بأهوال يوم القيامة ، يستدعي البعد عن أسباب تلك الأهوال .

والإيمان بالجنة ، يستدعي العمل الموصل إليها .

والإيمان بالنار ، يستدعي الهرب مما يؤدي إليها .

والله ولي التوفيق .

المعصية لاتنفي الإيمان

المعصية لاتنفي الإيمان ، ولكن تنافي كاله .

ففي الحديث الشريف : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن » ^(١) .

(١) البخاري ومسلم .

ضعيف الإيمان يغفل عن رقابة الله عز وجل ، فيقع بسبب غفلته في المعصية .

أما قوي الإيمان ، المرتقي إلى مرتبة الإحسان ، الذي يعبد الله كأنه يراه ، فلا يقعد عن طاعة الله ، ولا يجروء على معصية الله .

من آمن فقد اهتدى

قال الله تعالى : ﴿ قُولُوا : آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا ، وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ ، وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى ، وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ ، لَنُفَرِّقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ ، وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ . فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا ﴾ ^(١) .

فمن آمن بما أنزل على محمد ﷺ ، فقد اهتدى ، ومن كفر بذلك أو بشيء منه ، فقد كفر وضل ضلالاً بعيداً .

شُعَبُ الْإِيمَانِ

قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ، تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ، وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ .

وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ، اجْتَنَثَتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ ، مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿ ^(١) .

فالكلمة الطيبة : لا إله إلا الله ، والشجرة الطيبة المؤمن .

فالإيمان يجمع خصال الخير ، ويتفرع منه كل خصال الخير .

وفي الحديث الشريف : « الإيمان بضع وسبعون شعبة ، فأفضلها قول : (لا إله إلا الله) وأدناها إمطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان » ^(٢) .

والأذى : ما يؤذي كحجر وشوك وطين ورماد وقذر

(١) ٢٤ - ٢٦ - إبراهيم . (٢) البخاري ومسلم .

ونخامة وقشر بطيخ ، ونحو ذلك .

فالإيمان شجرة تتفرع عنها الأعمال الصالحة ، والأخلاق
الكريمة ، وكلُّ عمل صالح وخلق كريم شعبة منها وثمرة من
ثمراتها .

والمؤمن الكامل زكيّ النفس ، كريم الأخلاق ، قويم
الطباع ، لا يدع خصلة من خصال الخير إلا سبق إليها ،
وتحلّى بها .

حلاوة الإيمان

للإيمان حلاوة لا يعرف طعمها إلا من ذاقها .

في الحديث الشريف : « ذاق طعم الإيمان من رضي بالله
رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد ﷺ رسولاً » (١) .

« ثلاث من كنّ فيه وجد حلاوة الإيمان :

أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما .

(١) مسلم والترمذي .

وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله .
وأن يكره أن يعود في الكفر ، كما يكره أن يُقذَف في
النار » (١) .

وفي الحديث القدسي : « النظره سهم مسموم من سهام
إبليس ، من تركها مخافة مني أبدلته إيماناً يجد حلاوته في
قلبه » (٢) .

نعم ، ذاق السلف الصالح طعم الإيمان وحلاوة الإيمان ،
فاستهلوا في مرضاة الله ورسوله كل صعب ، وتحملوا كل
شدة ، وبذلوا كل نفيس ، وجاهدوا في سبيل الله ، ولإعلاء
كلمة الله ، وحملوا لواء الإسلام إلى بقاع الأرض ، ونشروا دين
الله في الشرق والغرب .

ذاق السلف الصالح طعم الإيمان وحلاوة الإيمان ،
فاستعذبوا السهر في طاعة الله ، والبذل في مرضاة الله ، والرضا
بقضاء الله ، والصبر على المكروه استسلاماً لأحكام الله .

(٢) الطبراني والحاكم .

(١) البخاري ومسلم .

قال بعض السلف الصالح : لو علم الملوك ما نحن فيه من النعيم ، لجالدونا عليه بالسيوف .

وقال آخر : إن كان أهل الجنة في مثل ما نحن فيه من النعيم ، إنهم لفي عيش طيب .

الناس فريقان : مؤمن وكافر

قال الله تعالى : ﴿ هو الذي خلقكم ، فمنكم كافر ومنكم مؤمن ، والله بما تعملون بصير ﴾ ^(١) .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : إن الله خلق بني آدم مؤمناً وكافراً ، ويعيدهم في يوم القيامة مؤمناً وكافراً .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال :

خطبنا رسول الله ﷺ عشية ، فذكر شيئاً مما يكون ، فقال :

« يولد الناس على طبقات شتى :

يولد الرجل مؤمناً ويعيش مؤمناً ويموت مؤمناً .
ويولد الرجل كافراً ، ويعيش كافراً ، ويموت كافراً .
ويولد الرجل مؤمناً ، ويعيش مؤمناً ، ويموت كافراً .
ويولد الرجل كافراً ، ويعيش كافراً ، ويموت
مؤمناً » (١) .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال :

حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق : « إن أحدم
يُجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ، ثم يكون علقة
مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يُرسل إليه الملك ،
فينفخ فيه الروح ، ويؤمر بأربع كلمات :

يكتبُ رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقي أو سعيد .

فوالذي لا إله غيره ، إن أحدم ليعمل بعمل أهل الجنة ،
حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب
- أي ما سبقت كتابته في علم الله - فيعمل بعمل أهل النار ،

(١) أحمد وغيره .

فيدخلها .

وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار ، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها « (١) .

وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال :

« إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس ، وهو من أهل النار .

وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس ، وهو من أهل الجنة « (٢) .

قال العلماء رضي الله عنهم :

إن الله خلق الكافر ، وكفرةً فعلٌ له وكسب ، مع أن الله خالق الكفر .

وخلق المؤمن ، وإيمانه فعلٌ له وكسب ، مع أن الله خالق الإيمان .

(٢) مسلم .

(١) البخاري ومسلم .

والكافر يكفر ويختار الكفر بعد خلق الله إياه ، لأن الله تعالى قدّر ذلك عليه ، وعلمه منه .

ولا يجوز أن يوجد من كل منهما غير الذي قدّر عليه ، وعلمه منه .

لأن وجود خلاف المقدور عجز ، ووجود خلاف المعلوم جهل ، ولا يليقان بالله تعالى .

وقيل لأعرابي : ما تقول في القدر ؟

فقال : أمرّ تغالت فيه الظنون ، واختلف فيه المختلفون ، فالواجب أن نردّ ما أشكل علينا من حكمه ، إلى ما سبق من علمه .

وفي الحديث الشريف : « كل مولود يولد على الفطرة : فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه » ^(١) .

والفِطْرَةُ : الحِلَقَةُ ، والفاطر : الخالق .

قال العلماء رضي الله عنهم : المولود يولد على السلامة في

(١) مسلم .

الأغلب خِلْقَةً وطبعاً وبنية ، ليس معها إيمان ولا كفر ، ولا إنكار ولا معرفة . ثم يعتقد الكفر أو الإيمان بعد البلوغ إذا عقل .

واحتجوا بقوله ﷺ في تمام الحديث السابق .

« كما تُنتَج البهية بهيمة جمعاء - أي سليمة من العيوب مجتمعة الأعضاء كاملتها - هل تُحسِّن فيها من جدعاء - أي مقطوعة الأذن - .

ثم قال راوي الحديث أبو هريرة رضي الله عنه :

واقراءوا إن شئتم : ﴿ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ، لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ ^(١) .

وفي رواية : حتى تكونوا أنتم تجدعونها - يعني الأذن أي تقطعونها - .

قالوا : يا رسول الله ! أفرأيت من يموت صغيراً ؟

قال : الله أعلم بما كانوا عاملين .

وقالوا في معنى الحديث السابق :

يولد الرجل مؤمناً ... أي يولد ليكون مؤمناً عند البلوغ والعقل .

ويولد الرجل كافراً ... أي يولد ليكون كافراً على سابق علم الله فيه .

لا أنه يولد منذ طفولته مستحقاً جنة أو ناراً ، أو مميّزاً بين كفر وإيمان .

قال الله تعالى : ﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئاً ﴾ ^(١) .

وقال تعالى في الإنسان : ﴿ إنا هديناه السبيل ، إما شاكراً وإما كفوراً ﴾ ^(٢) .

أي بينا له وعرفناه طريق الهدى والضلال ، والخير والشر ، ببعث الرسل ، فأمن أو كفر .

وذلك مثل قوله تعالى : ﴿ وهديناه النجدين ﴾ ^(١) .

أي بيّنّا له السبيل إلى السعادة والشقاء .

شتان بين مؤمن وكافر

قال الله تعالى : ﴿ أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً ؟

لا يستوون :

أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، فلهم جنات المأوى
نُزُلًا بما كانوا يعملون .

وأما الذين فسقوا فمأواهم النار ، كلما أرادوا أن يخرجوا
منها أعيدوا فيها ، وقيل لهم : ذوقوا عذاب النار الذي كنتم
به تكذبون ﴾ ^(٢) .

وقال تعالى : ﴿ وما يستوي الأعمى والبصير ، والذين

آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء ، قليلاً ما
تتذكرون ﴾ ^(٣) .

أي لا يستوي المؤمن والكافر ، والضال والمهتدي ، ولا

(٢) ١٨ - ٢٠ - السجدة .

(١) ١٠ - البلد .

(٣) ٥٨ - غافر .

يستوي العامل للصالحات والذي يعمل السيئات ، والله تعالى حكم عدل ، ولا يظلم مثقال ذرة .

وقال تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ ^(١) أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءَ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتِهِمْ ؟ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ ^(٢) .

قال رجل من أهل مكة : هذا مقام تميم الداري ، لقد رأيته ذات ليلة حتى أصبح ، يقرأ آية من كتاب الله ويركع ويسجد ويبكي :

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ ، أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ .. ﴾ .

. وقال بعض السلف : بتُّ عند الربيع بن خيثم ذات ليلة ، فقام يصلي ، فمر بهذه الآية ، فمكث حتى أصبح لم يعدّها يبكاء شديداً .

وقال بعضهم : رأيت الفضيل بن عياض ، يردد من أول

(١) أي : اكتسبوا .

(٢) ٢١ - الجاثية .

الليل إلى آخره ، هذه الآية ونظيرها ، ثم يقول مخاطباً نفسه :
ليت شعري من أي الفريقين أنت ؟

وكانت هذه الآية تسمى : مبكاة العابدين .

وذلك لما انطوت عليه من بيان التفاوت الكبير بين المؤمن والكافر ، وما أعد الله تعالى لكل منهما في الآخرة .

فستان بين مؤمن وكافر ! وستان بين أعمى وبصير وستان
بين محسن ومسيء ! وستان بين مُنعم في الآخرة مكرم ، وبين
معدّب فيها مهين !

وفي الحديث الشريف : أن رجلاً مرّ على النبي ﷺ فقال
لرجل جالس عنده : « مارأيك في هذا ؟ » .

فقال : رجل من أشراف الناس ، هذا والله حريّ إن
خطب أن يُنكحَ - أي يُزوّجَ - وإن شفع أن يشفع .
فسكت رسول الله ﷺ .

ثم مرّ رجل آخر ، فقال له رسول الله ﷺ : « مارأيك في
هذا ؟ » .

فقال : يا رسول الله ، هذا رجل من فقراء المسلمين ، هذا حريّ إن خطب أن لا يُنكح ، وإن شفع أن لا يُشفّع ، وإن قال لا يُسمع لقوله .

فقال رسول الله ﷺ : « هذا خيرٌ من ملء الأرض مثلاً هذا » ^(١) .

الله تعالى يحب لعباده الإيمان

قال الله تعالى : ﴿ ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم ، وكان الله شاكراً عليماً ﴾ ^(٢) .

أي: أي منفعة لله تعالى في عذابكم إن شكرتم وآمنتم ؟!

فالله تعالى لا يعذب المؤمن الشاكر ، وتعذيبه عباده لا يزيد في ملكه ، وتركه عقوبتهم على فعلهم لا ينقص من سلطانه .

وقال تعالى : ﴿ إن تكفروا فإن الله غني عنكم ،

(٢) ١٤٧ - النساء .

(١) البخاري ومسلم .

ولا يرضى لعباده الكفر ، وإن تشكروا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴿١﴾ .

فالله تعالى لا يحب الكفر من عباده ، ولا يرضاه لهم ، وإن أرادهم منهم ، فالإرادة غير الرضا ، وهذا مذهب أهل السنة .

وإن تشكروا يَرْضَهُ لَكُمْ : أي يثيبكم على الشكر .

إعلان الإيمان

قال الله تعالى في بني إسرائيل :

﴿ فلما أحسَّ عيسى منهم الكفر قال : من أنصاري إلى الله ؟ ﴾

قال الحواريون نحن أنصار الله ، آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون .

ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول ، فاكتبنا مع الشاهدين ﴿٢﴾ .

وقال الله تعالى خطاباً للمؤمنين من هذه الأمة :

﴿ قولوا : آمنا بالله وما أنزل إلينا ، وما أنزل إلى إبراهيم

وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط ، وما أوتي موسى
وعيسى ، وما أوتي النبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم
ونحن له مسلمون ﴿^(١) .

وعن سفيان بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال :
قلت : يا رسول الله : قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه
أحدٌ غيرك .

قال : « قل : آمنت بالله ثم استقم » ^(٢) .

فالمؤمن الحق هو الذي يعلن إيمانه وإسلامه ، معتزاً بما
هداه الله تعالى إليه من الحق ، ولا يبالي بما يصيبه في سبيل
ذلك من أذى . كما فعل المسلمون الأولون ، الذين صدقوا في
إيمانهم ، فصرخوا به وأعلنوه في مجامع المشركين ، وصبروا حتى
علت كلمة الإيمان ، وزهق الباطل والطغيان .

يحكم على الناس بظواهرهم

وقد أمرنا الله تعالى أن نحكم على الناس بظواهرهم .

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا ، وَلَا تَقُولُوا لِمَن أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ : « لَسْتُ مُؤْمِنًا » ۝ (١) .

نزلت هذه الآية الكريمة : في قوم من المسلمين ، مروا في سفرهم برجل ، معه جمل وغنمية يبيعهما ، فسلم على القوم وقال : (لا إله إلا الله ، محمد رسول الله) .

فحمل عليه أحدهم فقتله .

فلما ذكر ذلك للنبي ﷺ ، شقَّ عليه ، ونزلت الآية .

وعن المقداد بن الأسود رضي الله عنه أنه قال : قلت : يارسول الله ! أرايت إن لقيت رجلاً من الكفار فاقتتلنا ، فضرب إحدى يديّ بالسيف ، فقطعها ، ثم لاذمني بشجرة ، فقال : « أسلمت لله » أأقتله يارسول الله بعد أن قالها ؟ فقال : « لاتقتله » .

فقلت : يارسول الله ! قطع إحدى يديّ ، ثم قال ذلك

بعدها قطعها !

فقال : « لاتقتله ، فإن قتلته ، فإنه بمنزلك قبل أن تقتله ، وإنك بمنزلة قبل أن يقول كلمته التي قال » ^(١) .

ومعنى أنه بمنزلك : أي معصوم الدم ، محكوم بإسلامه .

ومعنى أنك بمنزلة : أي مباح الدم بالقصاص لورثته لا أنه بمنزلة في الكفر .

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما أنه قال :

(بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة - بطن - من جهينة - القبيلة المعروفة - فصبحنا القوم على مياههم ، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم ، فلما غشيناها قال : لا إله إلا الله .

فكف عنه الأنصاري ، وطعنته برمح ، حتر قتلته ، فلما قدمنا المدينة ، بلغ ذلك النبي ﷺ .

(١) البخاري ومسلم .

فقال لي : « يَا أَسَامَةَ ! أَقْتَلْتَهُ بَعْدَمَا قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ !! »

قلت : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! إِنَّمَا كَانَ مُتَعَوِّذًا - أَيَّ مُعْتَصِمًا بِهَا مِنَ الْقَتْلِ لَا مُعْتَقِدًا لَهَا -

فقال : « أَقْتَلْتَهُ بَعْدَمَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » .

فَمَا زَالَ يَكْرُرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ (١) .

أَيَّ لِيَكْفُرَ إِسْلَامِي هَذِهِ الْخَطِيئَةُ .

وَفِي رِوَايَةٍ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

« أَقَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَقَتْلْتَهُ ؟ ! »

قلت : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِنَ السَّلَاحِ .

قال : « أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ : حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا »

فَمَا زَالَ يَكْرُرُهَا : حَتَّى تَمَنَيْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ .

(١) البخاري ومسلم .

وعن جندب بن عبد الله رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ ، بعث بَعْثاً - أي جيشاً - من المسلمين إلى قوم من المشركين ، وأنهم التَقَوْا ، فكان رجل من المشركين إذا شاء أن يقصد إلى رجل من المسلمين ، قصد له فقتله ، وأن رجلاً من المسلمين قصد غفلته - وكنا نتحدث أنه أسامة بن زيد - فلما رفع عليه السيف ، قال : لا إله إلا الله ، فقتله .

فجاء البشير إلى رسول الله ﷺ ، فسأله وأخبره حتى أخبره خبر الرجل ، كيف صنع .

فدعاه فسأله ، فقال : « لِمَ قَتَلْتَهُ ؟ »

فقال : يا رسول الله ! أوجع في المسلمين ، وقتل فلاناً وفلاناً - وسمى له نفرأ - وإني حملت عليه ، فلما رأى السيف قال : لا إله إلا الله .

قال رسول الله ﷺ : « أَقْتَلْتَهُ ؟ ! »

قال : نعم .

قال : « فكيف تصنع بلا إله إلا الله ، إذا جاءت يوم القيامة ؟ »

قال : يا رسول الله استغفر لي .

قال : « وكيف تصنع بلا إله إلا الله ، إذا جاءت يوم
القيامة ؟ »

فجعل لا يزيد على أن يقول :

« كيف تصنع بلا إله إلا الله ، إذا جاءت يوم
القيامة ؟ » ^(١) .

وكان عمر رضي الله عنه يقول : إن ناساً كانوا يأخذون
بالوحي في عهد رسول الله ﷺ ، وأن الوحي قد انقطع ،
وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم فمن أظهر لنا خيراً ،
أمنّا ، وقربناه ، وليس لنا من سريره شيء ، والله يحاسبه
في سريره . ومن أظهر لنا سوءاً لم نأمنه ولم نصدق ، وإن
قال : إن سريره حسنة ^(٢) .

وقد كان رسول الله ﷺ يقبل من المنافقين ظواهرهم ،
ويكل سرائرهم إلى الله تعالى .

(٢) البخاري .

(١) مسلم .

وفي ذلك إرشاد للمسلمين إلى الأخذ بالظاهر ، وفي ذلك مصلحة اجتماعية كبرى . لكن على المسلم الحق أن يحرص على صلاح باطنه ، كما يحرص على صلاح ظاهره .

فمن الدعاء المأثور : اللهم اجعل سريرتنا خيراً من علانيتنا ، واجعل علانيتنا سالحة .

وينبغي للمؤمن أن يكون تقي القلب ، حيّ الضمير يعرف الحق لأهله ، وإن حُكّم له به في الظاهر .

ففي الحديث الشريف : « إنما أنا بشر ، وإنكم تختصمون إليّ ، ولعل بعضكم أن يكون ألحنّ بحجته من بعض - أي أعلم بها وأحسن بياناً لها - فأقضي له بنحو ما أسمع .
فن قضيت له بحق أخيه ، فإنما أقطع له قطعة من النار »

تنبيه وعظة

قد يطلق الله تعالى السنة عباده بالثناء على مؤمن ، لما يرون من ظاهره الصالح ، ولحسن ظنهم به .

فعلى المؤمن أن يحرص كل الحرص على صلاح باطنه ،

ليوافق الظاهر الباطن ، وليكون عند حسن ظنهم به .

ولننتفع بقول بعضهم :

قال شيخ لمويس : أنت سكرى كلَّ أنٍ بصاحب لك
وجُدْ .

فأجابت : أنا كما قلتَ لكن أنت حقاً كما للناس تبدو ؟

فعلى من ظهر بمظهر الصلاح ، أن يحاسب نفسه :

هل وافق ظاهره باطنه ؟ وليكثر من الاستغفار .

المؤمن الحق لا يتأثر ياغراء ولا تهديد

قال الله تعالى في أصحاب الكهف :

﴿ وربطنا على قلوبهم ، إذ قاموا فقالوا :

ربنا رب السموات والأرض ، لن ندعوا من دونه إلهاً ،

لقد قلنا إذن شططاً ﴾ ^(١) .

قالوا ذلك ، وخرجوا هائئين على وجوههم ، تمسكاً بدينهم الحق ، وكان من أمرهم ما كان .

وقال الله تعالى في أصحاب الأخدود :

﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ، وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ .

وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ (١) .

آثر المؤمنون يومئذ ، أن يلقوا بأنفسهم في النار المشتعلة التي أوقدت لهم في الأخاديد ، واضطربهم إليها الكافرون ، آثروا ذلك على أن يعودوا في الكفر ، بعدما أشرقت في قلوبهم شمس الإيمان ، فتسورت به بصائرهم ؛ وخالطت بشاشته قلوبهم .

وقال تعالى في سحرة فرعون ، حين رأوا معجزة موسى عليه الصلاة والسلام : ﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَجْدًا قَالُوا : آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى .

قال : آمنتم له قبل أن آذن لكم ؟! إنه لكبيركم الذي علمكم

السحر ، فلاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولاصَلَبْنكم في جذوع النخل ، ولتعلمنَ أئنا أشد عذاباً وأبقى .

قالوا : لن نؤثرك على ما جائنا من البينات والذي فطَرنا ، فاقضِ ما أنت قاضي ، إنما تقضي هذه الحياة الدنيا ، إنا آمنة بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر ، والله خير وأبقى ﴿ ١ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ قل : يا أهل الكتاب هل تنقيمون منا إلا أن آمنة بالله ، وما أنزلَ إلينا وما أنزلَ من قبل ﴾ ﴿ ٢ ﴾ .

ونبيننا محمد ﷺ حين جهر بالدعوة إلى الإسلام في مكة ، عرض عليه قومه أن يجمعوا له من المال حتى يكون أغناهم ، وأن يملكوه عليهم .. على أن يكف عن دعوته ، ووسَّطوا إليه في ذلك عمه أبا طالب ، فقال مستعلياً على هذا الإغراء :

« والله ياعم ! لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ، ما فعلت حتى يظهره الله أو أهلك دونه . »

المؤمن الحق يدعو إلى الإيمان بالحق

قال الله تعالى في مؤمن آل فرعون ، الذي آمن بموسى ،
ودعا قومه إلى الإيمان :

﴿ وقال الذي آمن : يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم
الأحزاب .

مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم ، وما
الله يريد ظلماً للعباد .

ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التَّنَاد (١) يوم تُولُون
مدبرين ، مالكم من الله من عاصم ، ومن يضلل الله فما له
من هاد ﴿ (٢) .

إلى أن قال : ﴿ ويا قوم مالي أدعوكم إلى النجاة
وتدعونني إلى النار ؟

تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم ، وأنا
أدعوكم إلى العزيز الغفار ﴿ (٣) .

(٢) ٣٠ - ٣٣ - غافر .

(١) أي يوم القيامة .

(٣) ٤١ ، ٤٢ - غافر .

وأرسل الله تعالى إلى أهل أنطاكية مَنْ أرسله من رسله ،
فكفروا بهم ، وآمن منهم واحد ، فقال تعالى فيه :

﴿ وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى * قال يا قوم
اتبعوا المرسلين . اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم
مهمدون ﴾ ^(١) .

وعلى هذا درج الصحابة الكرام ، منذ أشرقت شمس
الإيمان على قلوبهم . فكان أحدهم يدعو إلى الإسلام الأفراد
والجماعات ، ويتعرض بذلك للأذى ، فلا يبالي بما يلاقي .

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال :

(لما بلغ أبا ذر مبعث النبي ﷺ ، قال لأخيه : اركب إلى
هذا الوادي - يعني مكة - فاعلم لي علمَ - أي حال - هذا
الرجل الذي يزعم أنه نبي ، يأتيه الخبر من السماء ، واسمع من
قوله ثم اتني .

فانطلق الأخ حتى قدم ، وسمع من قوله ، ثم رجع إلى أبي ذر .

فقال له : رأيته يأمر بمكارم الأخلاق ، ويقول كلاماً ما هو بالشعر .

فقال : ما شفيتني مما أردت .

فتزود وحمل شنة - أي قربة - فيها ماء ، حتى قدم مكة ؛ فأتى المسجد ، فالتمس النبي ﷺ - أي طلبه - وهو لا يعرفه ، وكره أن يسأل عنه ، حتى أدركه بعض الليل ، فاضطجع فرآه علي رضي الله عنه ، فعرف أنه غريب ، فلما رآه تبعه ، فلم يسأل واحد منها صاحبه عن شيء حتى أصبح .

ثم حمل قربه وزاده إلى المسجد ، وظل ذلك اليوم ، ولا يرى النبي ﷺ حتى أمسى ، فعاد إلى مضجعه ، فمر به عليّ .

فقال : أما آن للرجل أن يعرف منزله ؟

أراد أن يبيت عنده تلك الليلة أيضاً .

فأقامه فذهب به معه ، لايسأل أحدهما صاحبه عن شيء .

فلما كان اليوم الثالث ، فعل مثل ذلك ، فأقامه عليّ
فقال :

ألا تحدثني ما الذي أقدمك ؟

قال : إن أعطيتني عهداً وميثاقاً أن ترشدني فعلت .

ففعل فأخبره . فقال : إنه حق ، وإنه رسول الله ، فإذا
أصبحت فاتبعني ، فإني إن رأيت شيئاً أخافه عليك ، قت
كأني أريق الماء ، فإن مضيت فاتبعني حتى تدخل مدخلي .

ففعل ، فانطلق يقفوه - أي يتبعه - حتى دخل على النبي
ﷺ ، ودخل معه ، وسمع من قوله ، فأسلم مكانه .

فقال له النبي ﷺ : ارجع إلى قومك فأخبرهم ، حتى
يأتيك أمري .

فقال : والذي نفسي بيده ، لأصْرُخَنَّ بها بين ظَهْرَانِهِمْ .
- أي لأجهرنّ بكلمة التوحيد في جمعهم -

فخرج حتى أتى المسجد ، فنادى بأعلى صوته :

أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله .

فقام القوم إليه فضربوه حتى أضجعوه ، وأتى العباس
فأكب عليه وقال :

ويلكم ! ألستم تعلمون أنه من غفار ، وأنه من طريق
تجارتكم إلى الشام ؟

فأنقذه منهم ، ثم عاد من الغد لثلاثها ، فضربوه ، وثاروا
إليه ، فأكب العباس عليه .

ولما أراد أبو ذر رضي الله عنه أن يعود إلى أهله قال له
رسول الله ﷺ :

« هل أنت مبلغٌ عني قومك ، عسى الله أن ينفعهم بك ،
ويأجرك فيهم ؟ » .

فعاد فأسلم أخوه وأمه ، وأتوا قومهم فأسلم نصفهم ، وأسلم
باقيهم حينما قدم النبي ﷺ المدينة .

وجاءت « أسلم » - قبيلة -

فقالوا : يا رسول الله ! نُسَلِّمُ على الذي أسلم عليه إخوتنا .
فأسلموا ، فقال رسول الله ﷺ .

« غِفَارُ غُفَرِ اللَّهِ لَهَا ، وَأَسْلَمَ سَالِمُهَا اللَّهُ » ^(١) .

المؤمن معرض للبلاء والفتن

قال الله تعالى : ﴿ أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا : « آمَنَّا » وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ * ولقد فتنا الذين من قبلهم ، فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴿ ^(٢) .

نزلت هذه الآية الكريمة في جماعة كانوا بمكة ، وكان الكفار من قريش يؤذونهم ، ويعذبونهم على الإسلام ، فكانت صدورهم تضيق لذلك ، وربما استنكر بعضهم أن يمكن الله تعالى الكفار من المؤمنين .

فنزلت هذه الآية مسلية ومعلّمة أن هذه هي سنة الله تعالى في عباده اختباراً للمؤمنين وفتنة .

وذلك باقٍ في المؤمنين إلى يوم القيامة .

ولا يسع المؤمن الحق إلا الصبر ، وصدق التوكل على الله تعالى : واللجوء إليه .

(٢) ٢ ، ٣ - العنكبوت .

(١) البخاري ومسلم .

وقال الله تعالى يخاطب المسلمين الأولين :

﴿ لتَبْلَوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ، وَلْتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ
أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ ، وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً ،
وإنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ ^(١) .

وقال عز وجل : ﴿ ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم
عن دينكم إن استطاعوا ، ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت
وهو كافر ، فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة ،
وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ ^(٢) .

وقد جاء الوعيد الشديد لمن يفتن المؤمنين عن دينهم قال
الله تعالى : ﴿ إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ، ثم لم
يتوبوا ، فلهم عذاب جهنم ، ولهم عذاب الحريق ﴾ ^(٣) .

عن صهيب رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال :
« كان ملك فين كان قبلكم ، وكان له ساحر ، فلما كبر

قال للملك :

(٢) ٢١٧ - البقرة .

(١) ١٨٦ - آل عمران .

(٣) ١٠ - البروج .

إني قد كبرت ، فابعث إليّ غلاماً أعلمه السحر .

فبعث إليه غلاماً يعلمه ، وكان في طريقه إذا سلك راهب ، فقعد إليه ، وسمع كلامه ، فأعجبه .

وكان إذا أتى الساحر مر بالراهب ، وقعد إليه ، فإذا أتى الساحر ضربه ، فشكا ذلك إلى الراهب ، فقال :

إذا خشيت الساحر فقل : حبسني - أي أخرني - أهلي .

وإذا خشيت أهلك ، فقل : حبسني الساحر .

فبينما هو على ذلك ، إذ أتى على دابة عظيمة ، قد حبست الناس - أي عن المرور -

فقال : اليوم أعلم ، الساحر أفضل أم الراهب أفضل ؟

فأخذ حجراً فقال : اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر ، فاقتل هذه الدابة ، حتى يمضي الناس .

فرماها فقتلها ، ومضى الناس .

فأتى الراهب فأخبره ، فقال له الراهب :

أي بني ! أنت اليوم أفضل مني ، قد بلغ من أمرك ما أرى ، وإنك ستبتلى ، فإن ابتليت فلا تدلّ عليّ .

وكان الغلام يبرئ الأكمه - وهو الذي يولد أعمى - والأبرص ، ويداوي الناس من سائر الأدواء .

فسمع جليس للملك ، كان قد عمي ، فأتاه بهدايا كثيرة ، فقال .

ماها هنا لك أجمع ، إن أنت شفيتني ؟

فقال : إني لا أشفي أحداً ، إنما يشفي الله ، فإن آمنت بالله تعالى ، دعوتُ الله فشفاك .

فآمن بالله تعالى ، فشفاه الله تعالى .

فأتى الملك ، فجلس إليه كما كان يجلس .

فقال له الملك : مَنْ ردّ عليك بصرك ؟

قال : ربي .

قال : أولئك رب غيري ؟!

قال : ربي وربك الله .

فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام .

فجىء بالغلام ، فقال له الملك .

أي بني ! قد بلغ من سحرك ماتبرىء الأكه والأبرص ،
وتفعل وتفعل ؟!

فقال : إني لأشفي أحداً ، إنما يشفي الله تعالى .

فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب .

فجىء بالراهب ، فقال له : ارجع عن دينك .

فأبى ، فدعا بالمنشار ، فَوُضِع المنشار في مفرق رأسه - أي
وسطه - فشقه به ، حتى وقع شِقَّاه .

ثم جىء بجليس الملك ، فقيل له : ارجع عن دينك .

فأبى فَوُضِع المنشار في مفرق رأسه ، فشقه به ، حتى وقع
شِقَّاه .

ثم جىء بالغلام ، فقيل له : ارجع عن دينك .

فأبى ، فدفعه إلى نفر من أصحابه ، فقال :

اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا ، فاصعدوا به الجبل ، فإذا
بلغتم ذروته - أي أعلاه - فإن رجع عن دينه ، وإلا
فاطرحوه .

فذهبوا به ، فصعدوا به الجبل ، فقال :

« اللهم اكفنيهم بما شئت » .

فرجف بهم الجبل ، فسقطوا ، وجاء يمشي إلى الملك فقال
له الملك : ما فعل أصحابك ؟!

فقال : كفانيهم الله تعالى .

فدفعه إلى نفر من أصحابه ، فقال :

اذهبوا به ، فاحملوه في قُرُور - أي سفينة - وتوسطوا به
البحر ، فإن رجع عن دينه ، وإلا فاقدفوه .

فذهبوا به ، فقال : اللهم اكفنيهم بما شئت .

فانكفأت بهم السفينة - أي انقلبت - فغرقوا ، وجاء يمشي

إلى الملك .

فقال له الملك : ما فعل أصحابك ؟!

فقال : كفانيهم الله تعالى .

فقال للملك : إنك لستَ بقاتلي ، حتى تفعل ما أمرك به .

قال : ماهو ؟

قال : تجمع الناس في صعيد واحد ، وتصلبني على جذع ،
ثم خذ سهماً من كناتي - أي بيت سهامي - ثم ضع السهم في
كبد القوس ، ثم قل :

« بسم الله ربّ الغلام » .

ثم ارمني ، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني .

فجمع الناس في صعيد واحد ، وصلبه على جذع ، ثم أخذ
سهماً من كناته ، ووضع السهم في كبد القوس ، ثم قال :

« بسم الله رب الغلام » .

ثم رماه . فوقع السهم في صدّغه ، فوضع يده في صدغه

فمات .

فقال الناس : آمنا برب الغلام .

فأتى الملك ، فقيل له : رأيت ما كنت تحذر ، قد والله
نزل بك حذرک ، قد آمن الناس .

فأمر بالأخدود بأفواه السِّكِّك فخذت - أي شقت - وأضرم
فيها النيران ، وقال :

من لم يرجع عن دينه ، فأقحموه - أي ألغوه - فيها أو
قيل له : اقتحم .

ففعلوا ، حتى جاءت امرأة ، ومعها صبي لها ، فتعاسست
أن تقع فيها .

فقال لها الغلام : يَا أُمَّهُ ! اصبري فإنك علي الحق » ^(١) .

وفي الحديث الشريف : « بادروا بالأعمال - يعني
الصالحة - فتناً كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمناً ،
ويعسي كافراً ، أو يعسي مؤمناً ، ويصبح كافراً ، يبيع دينه

بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا» (١) .

وَالْعَرَضُ بِالتَّحْرِيكِ : مَتَاعُ الدُّنْيَا وَحَطَامُهَا .

وَفِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ : « مَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ ، فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ ، حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى ، وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ » (٢) .

الْمُؤْمِنُ مَأْمُورٌ بِالصَّبْرِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ، إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (٣) .

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا ﴾ (٤) .

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ - أَيْ نَزَلَ بِهِ مَهَمٌّ ، أَوْ أَصَابَهُ غَمٌّ - فَزَعُ إِلَى الصَّلَاةِ . (٥) .

وَفِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ : « الصَّبْرُ نِصْفُ الْإِيمَانِ » (٦) .

(٢) الترمذي .

(٤) ٢٠٠ - آل عمران .

(٦) أبو نعيم والخطيب .

(١) مسلم .

(٣) ١٥٣ - البقرة .

(٥) أحمد وأبو داود .

ذلك لأن الإيمان الحق ، تصديقٌ وعمل .

فأداة التصديق اليقين بالله سبحانه ، وبكل ما أوحى إلى رسوله ﷺ .

وأداة العمل صبرٌ جميل ، يحفز همة صاحبه إلى المكارم ، ويجنبه الخبائث ، ويحميه المحارم .

فإذا حُرِمَ المؤمن نعمة الصبر ، بات إيمانه أشلَّ أعرج معطلاً .

لأن الصبر هو الأساس الذي تقوم عليه الناحية العملية من الدين .

فالصبر هو أداة ما افترض الله تعالى طاعته .

والثبات أمام العدو بطولة وشجاعة .

والصبر عن الشهوات والملاذَّ عفة وقناعة .

والصبر لدى الخطوب والنوائب صبر .

وفي كظم الغيظ حلمٌ وسعة صدر .

ذلك هو الصبر في اسم واحد ومعاني شتى ، تنتظم كل عمل جليل ، وخلق نبيل .

وفي الحديث الشريف : « إن أمر المؤمن كله له خير ، وليس ذلك إلا للمؤمن .

إن أصابته سراء ، شكر فكان خيراً له .

وإن أصابته ضراء ، صبر فكان خيراً له .

وليس ذلك إلا للمؤمن » ^(١) .

ومن كلام علي كرم الله وجهه : عليكم بالصبر ، فإن الصبر من الإيمان ، كالرأس من الجسد ، ولا خير في جسد لا رأس معه ، ولا في إيمان لا صبر معه .

ذلك لأنه إذا استحكمت الأزمات وتعقدت حبالها ، وترادفت المصائب وطال ليلها ، فالصبر وحده هو الذي يُشع للمؤمن النور العاصم من التخطئ ، والهداية الواقية من القنوط .

(١) مسلم .

والصبر فضيلة ، يحتاج إليها المؤمن في دينه ودنياه ، ولا بد أن يبني عليها أعماله وآماله .. يجب أن يوطّن نفسه على احتمال المكاره دون ضجر ، وانتظار النتائج مهما بعدت ، ومواجهة الأعباء مهما ثقلت ، بقلب لاتعلق به ريبة ، وعقل لا تطيش به كربة .

وقد أكدت الآيات القرآنية الكريمة ، أن ابتلاء المؤمنين لاعميص عنه ، حتى يأخذوا أهبتهم للنوازل المتوقعة ، فلا تذهلهم المفاجآت ويذّلوا لها .

والصبر يعتمد على بديهيتين خطيرتين :

أما الأولى : فتتعلق بطبيعة هذه الحياة الدنيا ، فإن الله تعالى ، لم يجعلها دار جزاء وقرار ، بل جعلها دار تمحيص وامتحان .

وقد يمتحن المؤمن بالشئ وضده ، مثلما يصهر الحديد في النار ، ثم يرمى به في الماء ..

فيمتحن المؤمن بالغنى والفقر ، وبالصحة والسقم ، وبسائر المحاب والمكاره .

والابتلاء بالأحزان مُبهم الأسباب ! ويحسن أن نفهم أن أوضاع الناس في الحياة ، كجيش عُبيء للقتال ، وقد تُكلف بعض فرقه القتال حتى الموت ، لإنقاذ فرق أخرى ، وإنقاذ الفرق الباقية ، يكون للقفذ بها في معارك جديدة ، ترسمها القيادة ، حسبما ترى المصلحة العامة الكبرى ، فتقدير فردٍ ما في هذه الغمار المائجة ، لا يُنظر إليه ، لأن الأمر أوسع مدى ، من أن يرتبط بكيان فرد معين .

وقد يمتحن الله تعالى بعض الناس ، بصنوف من البلاء ، ربما انتهت بمصارعهم ، وليس أمام المؤمن ، إلا أن يستقبل البلاء الوافد بالصبر والتسليم .

وما دامت الحياة امتحاناً ، فليكرّس المؤمن جهوده للنجاح فيه ، ولا نجاح إلا بالصبر والتسليم .

وامتحان الحياة ليس كلاماً يُكتب ، أو أقوالاً تُخطب ، إنها الآلام التي قد تقتحم النفس ، وتفتح إليها طريقاً من الرعب والحرج .

إنها العجائب التي تجعل الدنيا تُتخم بطون الرعاع ، وتُتيم

صديقين على الطوى ، وتجعل قوماً يدعون الألوهية ،
وآخرون يُستشهدون وهم يدافعون عن حقوقهم المملوكة .

هذه هي البديهة الأولى .

وأما البديهة الأخرى ، فتتعلق بطبيعة الإيمان .

فالإيمان صلة بين الإنسان ، وبين الله عز وجل .

وإذا كانت صلات الصداقة بين الناس ، لا يُعتد بها ، ولا
ينوّه بشأنها ، إلا إذا أكدها مرّ الأيام وتقلب الليالي واختلاف
الحوادث .

فكذلك الإيمان ، لابد أن تخضع صلاته للابتلاء الذي
يحصّها ، فيكشف عن طبيعتها ، أو زيفها .

ولا ريب أن علم الله تعالى ، يحيط بظواهر الأمور
وبواطنها ، وأن هذا الامتحان لا يأتي بمجديد ، بالنسبة إلى
الكشف الإلهي ، المستوعب للبدايات والنهايات ، غير أن
الإنسان لا يحاسب إلا على عمله الشخصي ، وإذا كان بعض
المجرمين ، سينكرون ما اقترفوا من سيئات ، فكيف تقام

عليهم الحجة إلا بامتحان ، تشهده جوارحهم ، وتنطق به أركانهم ؟

الإيمان منحة إلهية للسعداء

الإيمان هبة من الله تعالى لمن أحب من عباده قال الله تعالى: ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ .. ﴾ (١) .

وقال عز وجل : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا ، أَفَأَنْتَ تَكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ؟! وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَوْفَّنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَيَجْعَلُ اللَّهُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (٢) .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : (كان النبي ﷺ حريصاً على إيمان جميع الناس ، فأخبره الله تعالى أنه لا يؤمن إلا من سبقت له السعادة في الذكر الأول ، ولا يضل إلا من سبقت له الشقاوة في الذكر الأول)

وقال تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانُ ، وَزِينَهُ فِي

قلوبكم ، وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان ﴿ ١ ﴾ .

الإيمان كلٌّ لا يتجزأ

قال الله تعالى منذاً على اليهود ومهدداً لهم :

﴿ أفْتُؤْمِنُونَ بَعْضَ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بَعْضَ ؟

فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ،
وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ ، وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا
تَعْمَلُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ إِنْ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ،
وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَيَقُولُونَ : نُوْمِنُ
بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ ، وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ
سَبِيلًا * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ، وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا
مُهِينًا ﴾ (٣) .

(٢) ٨٥ - البقرة .

(١) ٧ - الحجرات .

(٣) ١٥٠ ، ١٥١ - النساء .

هل الإيمان يزيد وينقص ؟

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ، وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ، وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى في معرض الثناء :

﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ : إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ .

فَزَادَهُمْ إِيمَانًا ، وَقَالُوا : حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ (٢) .

وقال عز وجل : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عَدَتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ، لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ، وَيَزِدَّادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ﴾ (٣) .

وقال تعالى في المنافقين :

﴿ وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَهُمْ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ :

(٤) ١٧٣ - آل عمران .

(١) ٢ - الأنفال .

(٣) ٣١ - المدثر .

أيكم زادته هذه إيماناً ؟

فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً ، وهم يستبشرون ﴿^(١)﴾ .

وقال تعالى : ﴿ ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا : هذا ما وعدنا الله ورسوله ، وصدق الله ورسوله ، وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً ﴾^(٢) .

وقال سبحانه : ﴿ هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ، ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم .. ﴾^(٣) .

اختلف العلماء رضي الله عنهم في زيادة الإيمان وتقصانه على أقوال منها :

أنه لايزيد ولا ينقص ، وإنما هو معنى فرد ، لا يدخل معه زيادة إذا حصل ، ولا يبقى منه شيء إذا زال ، فالزيادة والنقصان ، في متعلقاته دون ذاته .

وقالوا : إنه يزيد وينقص من حيث الأعمال الصادرة

عنه .

(٢) ٢٢ - الأحزاب .

(١) ١٢٤ - التوبة .

(٣) ٤ - الفتح .

لأسيا أن كثيراً من العلماء ، يوقعون اسم الإيمان على الطاعات ، لقوله ﷺ : « الإيمان بضع وسبعون شعبة ، فأعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إمطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان » ^(١) .

وقال آخرون : إنه يزيد وينقص ، لأنه عَرَض - والعرض هو كل موجود يحتاج في وجوده إلى موضع ، أي محل يقوم به - والعرض لا يثبت زمانين ، فالإيمان للنبي ﷺ وللصلحاء متعاقب .

فيزيد باعتبار توالي أمثاله على قلب المؤمن ، وباعتبار دوام حضوره .

وينقص بتوالي الغفلات على قلب المؤمن .

وهذا المعنى موجود في حديث الشفاعة ، وفيه :
« فيقول المؤمنون : ياربنا ! إخواننا كانوا يصومون ويصلون ويحجون .

(١) مسلم والترمذي .

فيقال لهم ، أخرجوا من عرفتم ، فتحرّم صورهم على النار ،

فيُخرجون خلقاً كثيراً ، قد أخذت النار إلى نصف ساقيه ، وإلى ركبتيه .

ثم يقولون : ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به .

فيقول : ارجعوا ، فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير ، فأخرجوه .

فيُخرجون خلقاً كثيراً .

ثم يقولون : ربنا لم نذر فيها أحداً ممن أمرتنا .

فيقول : ارجعوا ، فمن وجدتم في قلبه نصف دينار من خير ، فأخرجوه .

فيُخرجون خلقاً كثيراً .

ثم يقولون ، ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحداً .

فيقول : ارجعوا ، فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من

خير ، فأخرجوه .

فيُخرجون خلقاً كثيراً .

ثم يقولون : ربنا لم نذر فيها خيراً « (١) .

الإيمان يقوى ويضعف

قال الله تعالى : ﴿ يا أيها النبي حرّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ .

إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ .

وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ .

الآن خَفَّفَ اللهُ عَنْكُمْ ، وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا .

فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ .

وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفِينَ بِإِذْنِ اللهِ ، وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿ (٢) .

شقّ على المسلمين حين فرض الله عليهم أن لا يفرّ واحد من

(٢) ٦٥ ، ٦٦ - الأنفال .

(١) مسلم .

عشرة ، فخفف الله تعالى عنهم ، وكتب عليهم أن لا يفر مئة من مئتين .

وعلى ذلك ، بأن المؤمنين يفقهون ما يقاتلون عليه ، وهو الثواب ، والكافرون لا يعلمون ما يقاتلون عليه :

وفي الحديث الشريف : « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير ، احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شيء ، فلا تقل : (لو أني فعلت كان كذا وكذا) .

ولكن قل : (قدر الله وما شاء فعل) . فإن لو تفتح عمل الشيطان » ^(١) .

مما يقوي الإيمان

هذا ، ومما يقوي الإيمان في قلب المؤمن ، ويزيده رسوخاً :

١ - كثرة النظر في كتاب الله تعالى ، وتدبر آياته ، وما

(١) مسلم .

يلفت إليه من عظيم قدرة الله تعالى ، ودقيق حكمته ، وأنواع خلقه ومصنوعاته ..

وما شرعه للخلق من عبادات ومعاملات ، وحثهم عليه من أخلاق وآداب ، وفضائل ومكارم ..

وما منح رسله الكرام ، عليهم الصلاة والسلام ، من مواهب سامية ، وخصائص رفيعة ، وما أيدهم به من معجزات وخوارق عادات ..

٢ - وكثرة النظر في العلوم الكونية ، وعجائب المخلوقات ، وأسرار الطبيعة ، في الإنسان والحيوان ، والنبات والجماد ، وسائر الموجودات ..

فإن ذلك يزيد المؤمن رسوخاً في إيمانه ، ويمكن جذوره من قلبه :

قال الله تعالى :

﴿ أولم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم ، من السماء والأرض ؟ ﴾

﴿ أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء ؟ ﴾

﴿وفي الأرض آيات للموقنين ، وفي أنفسهم أفلا تبصرون ؟﴾ .

٣ - وما يقوي الإيمان : فعل الطاعات ، وترك المخالفات ..

فذلك مما ينور القلب ، ويزكي النفس ، ويذيق المؤمن حلاوة الإيمان .

٤ - والصحبة الصالحة : فكم من ضعيف الإيمان متحير متردد مشكك ، سحب مؤمناً قوي الإيمان ، فانتقلت إليه عدوى الخير ، وتخلص من ظلمات الشك ، وحيرة الارتباك ، ورسخ في قلبه الإيمان واليقين .

الخواطر لا تقدح في الإيمان

في الحديث الشريف : « يبعث الشيطان سراياه ، فيفتنون الناس ، فأعظمهم عنده منزلة ، أعظمهم فتنة :

يأتي الشيطان أحداً فيقول :

من خلق كذا ؟ من خلق كذا ؟

حتى يقول له : من خلق ربك ؟
 فإذا بلغ ذلك ، فليستعذ بالله ولينته « (١) .
 وفي حديث آخر « يأتي الشيطان أحدكم فيقول :
 من خلق السماء ؟ من خلق الأرض ؟
 فيقول : الله .

فيقول : من خلق الله ؟!
 فن وجد من ذلك شيئاً فليقل : آمنت بالله
 ورسله « (٢) .

فالله تعالى متصف بصفات الكمال ، ومنزه عن صفات
 النقصان ، وصفات الحوادث تقص ، فلا يجوز في حقه تعالى
 أن يوصف بشيء منها ، فهو مخالف للحوادث :
 ﴿ ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير ﴾ (٣) .

(٢) البخاري ومسلم .

(١) البخاري ومسلم .

(٣) ١١ - الشورى .

المؤمنون قلّة في الناس

الإيمان جوهرة نفيسة ، وكل نفيس في الوجود عزيز .

قال الله تعالى : ﴿ فإِآ أَمِنَ لِمَوْسَىٰ إِلا ذَرِيَّةَ مَن قَوْمِهِ ،
على خوف من فرعون وملئهم أَن يَفْتَنَهُم ﴾ ^(١) .

وقال عز وجل : ﴿ وَأَوْحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ : أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مَن
قَوْمِكَ إِلا مَن قَدْ آمَنَ ﴾ ^(٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلا قَلِيلٌ ﴾ ^(٣) .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : (آمَنَ مَن قَوْمِهِ ثمانون ،
منهم ثلاثة من بنية ، وثلاثة كنانين له) .

وقيل : كانوا أقل من ذلك .

هذا ، وقد لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً ،

وقال تعالى لنبينا ﷺ :

﴿ وَإِن تَطَّعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ،

(٢) ٣٦ - هود .

(١) ٨٣ - يونس .

(٣) ٤٠ - هود .

إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ، وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١﴾ .

أَيَّ يَحْدُسُونَ وَيَقْدَرُونَ .

ومنه : خَرَصَ النخل يَخْرُصُه خَرْصاً ، إِذَا خَرَزَه لِيَأْخُذَ الخراج منه .

فالخارص يقطع بما لا يجوز القطع به ، إِذْ لَا يَتَّقِينَ معه .

وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ كَثِيراً مِنْ الْخُلَطَاءِ ﴾^(٢) لِيُبْغِيَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، وَقَلِيلٌ مَا هُمْ ﴿٣﴾ .

وقال تعالى معزياً رسوله ﷺ :

﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾^(٤) .

وقال تعالى : ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ ، وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ . وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾^(٥) .

(٢) أَي الْأَصْحَابِ أَوْ الشُّرَكَاءِ .

(٤) ١٠٣ - يوسف .

(١) ١١٦ - الأنعام .

(٣) ٢٤ - ص .

(٥) ١ - الرعد .

وسمع عمر رضي الله عنه رجلاً يقول في دعائه :

اللهم اجعلني من عبادك القليل .

فقال له عمر : ما هذا الدعاء ؟!

فقال : أردت قول الله عز وجل :

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾

فقال عمر موجئاً نفسه : كل الناس أفاقه منك يا عمر !

وهذا من تواضعه رضي الله عنه .

لا يصاحب إلا المؤمن

قال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا
مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ ^(١) .

وفي الحديث الشريف : « لا تصاحب إلا مؤمناً ، ولا يأكل
طعامك إلا تقي » ^(٢) .

(٢) أبو داود والترمذي .

(١) ١١٩ - التوبة .

« إنما مثل المجلس الصالح وجليس السوء ، كحامل المسك ونافخ الكير :

فحامل المسك إما أن يُحذيك - أي يعطيك - وإما أن تبتاغ منه ، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة .

ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك ، وإما أن تجد منه ريحاً منتنة » ^(١) .

« الرجل على دين خليله - أي صديقه - فلينظر أحدهم من يخال » ^(٢) .

الوعد الحسن للمؤمنين

للمؤمنين الوعد الحسن في الدنيا والآخرة .

قال الله تعالى : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ، ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً ، يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ، ومن كفر

(٢) أبو داود والترمذي .

(١) البخاري ومسلم .

بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴿١﴾ .

قال المفسرون : سبب نزول هذه الآية ، أن بعض أصحاب النبي ﷺ ، شكا جَهْدَ مكافحة العدو ، وما كانوا فيه من الخوف على أنفسهم ، وأنهم لا يضعون أسلحتهم فنزلت الآية .

وقال آخرون : مكث رسول الله ﷺ بمكة عشر سنين بعدما أوحى إليه خائفاً هو وأصحابه ، يدعون إلى الله سراً وجهراً ، ثم أمر بالهجرة إلى المدينة ، وكانوا فيها خائفين ، يصبحون ويمسون في السلاح .

فقال رجل : يا رسول الله ، أما يأتي علينا يومٌ نأمن فيه ، ونضع السلاح ؟

فقال عليه الصلاة والسلام : « لاتلبثون إلا يسيراً ، حتى يجلس الرجل منكم في الملاء العظيم محتبياً ^(٢) ليس عليه

(١) ٥٥ - النور .

(٢) احتبى الرجل : جمع ظهره وساقيه بثوب أو غيره ، وقد يحتبى يديه ، وهي قعدة مريحة دالة على الأمن والاطمئنان .

حديدة » .

ونزلت هذه الآية ، وأظهر الله نبيه على جزيرة العرب ،
فوضعوا السلاح وأمنوا .

فكان في هذه الآية دلالة على نبوة رسول الله ﷺ لأن
الله عز وجل أنجز ذلك الوعد ، فكان كما أخبر .

هذا ، وقد فتح المسلمون بعد ذلك مشارق الأرض
ومغاربها ، وأنجز الله تعالى لهم وعده .

وقال تعالى : ﴿ إِن الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى
وَالصَّابِئِينَ ، مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا ، فَلَهُمْ
أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ، وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ^(١) .

وفي الإيمان بالله واليوم الآخر ، اندراج الإيمان بالرسول
والكتب وسائر أركان الإيمان .

وقال تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ، وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي

جنت عدن ، ورضوان من الله أكبر ، ذلك هو الفوز العظيم ﴿^(١) .

وقال تعالى على لسان ذي القرنين :

﴿ وأما من آمن وعمل صالحاً ، فله جزاء الحسنى ، وسنقول له من أمرنا يسراً ﴾ ^(٢) .

وقال تعالى مستثنياً من العذاب في الآخرة :

﴿ إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً ، فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً .

جنت عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب ، إنه كان وعده مأتياً ﴾ ^(٣) .

- أي آتيا لاشك فيه -

(٢) ٨٨ - الكهف .

(١) ٧٢ - التوبة .

(٣) ٦٠ ، ٦١ - مريم .

الإيمان رأس البر

قال الله تعالى : ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبیین وآتى المال على حبه ذوی القربى والیتامى والمساكين وابن السبیل والسائلین وفي الرقاب ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة ، والموفون بعهدهم إذا عاهدوا ، والصابرین فی البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذین صدقوا ، وأولئك هم المتقون ﴾ (١) .

اختلف اليهود والنصارى في التوجه والتولي .

فاليهود يتوجهون في صلاتهم إلى بيت المقدس .

والنصارى يتوجهون إلى المشرق مطلع الشمس .

وتكلموا في تحويل النبي ﷺ قبله المسلمين إلى الكعبة بعدما كانت إلى بيت المقدس ، وفضلت كل فرقة ما تولت إليه .

فقل لهم : ليس البر ما أنتم فيه ، ولكن البر من آمن بالله ..

والبرّ : اسم جامع للخير .

وتقدير الكلام : ولكن البرّ برٌّ من آمن بالله ..

تخصيص المؤمنين بالنداء

لما دعا رسول الله ﷺ الناس إلى الإيمان ، فأمن من آمن ، وأعرض من أعرض ، خصّ الله تعالى المؤمنين بعد ذلك بالنداء ، فناداهم في القرآن الكريم ثانياً وثانين مرة بقوله :

﴿ يا أيها الذين آمنوا ... ﴾ .

وبيّن لهم بعد هذا النداء الرقيق ما أمرهم به من الطاعات ، وما نهاهم عنه من الآثام ، وما شرعه لهم من الأحكام ، وما فصل لهم من أحكام الحلال والحرام .

فأكثر ما نزل من قوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس .. ﴾ إنما نزل في مكة .

وكل ما نزل من قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين

آمنوا .. ﴿ إنما نزل في المدينة .

المؤمن محسود

في الحديث الشريف : « كل ذي نعمة محسود » .

والإيمان أعظم النعم على الإطلاق ، ولهذا اشتد حسد الكافرين من أهل الكتاب والمشركين للمؤمنين ، على ما هدام إليه من الإيمان واتباع شريعة الرحمن .

قال الله تعالى : ﴿ ما يؤذّ الدين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين ، أن يُنزلَ عليكم من خير من ربكم ، والله يختص برحمته من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم ﴾ ^(١) .

والله تعالى اختص هذه الأمة فيما شرعه لها بخصوص رحمته .

كيف لا ، وقد جمع الإسلام بين مصالح الدين والدنيا ، وهدى إلى ما فيه السعادة في الدنيا والآخرة !

وقال تعالى في الكافرين تحذيراً للمؤمنين :

﴿ وَذُوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا ، فَتَكُونُونَ سَوَاءً ، فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ .. ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَذَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفْرًا ، حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ ، مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ، فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ، إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٢) .

نزلت هذه الآية في اليهود .

الحسد نوعان

والحسد نوعان : مذموم ومحمود :

فالمذموم أن تمنى زوال نعمة الله عن أخيك المسلم .

وسواءً أتمنيت مع ذلك أن تصير النعمة إليك أم لا .

وهذا النوع هو الذي ذمه الله تعالى بقوله :

(٢) ١٠٩ - البقرة .

(١) ٨٩ - النساء .

﴿أَمْ يَحْسَدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ..﴾ ^(١) .

وإنما كان مذموماً ، لأن فيه تسفيه الحق سبحانه ، وأنه أنعم على من لا يستحق .

وأما الحسد المحمود ، فهو ما جاء في الحديث الشريف :
« لا حسد إلا في اثنتين :

رجل آتاه الله القرآن ، فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار .

ورجل آتاه الله مالاً ، فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار » ^(٢) .

وهذا الحسد معناه الغبطة .

وحقيقة الغبطة : أن تتمنى أن يكون لك ما لأخيك المسلم من الخير والنعمة ، ولا يزول عنه خيره .

والحسد لا يضر المحسود شيئاً .

والعفو عنه فضيلة ، ولهذا قال تعالى في آخر الآية السابقة :

﴿ فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره .. ﴾ .

عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ ، ركب على حمار عليه قطيفة فدكية - منسوبة إلى فذك : قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان - وأسامة وراءه ، يعود سعد ابن عبادة رضي الله عنه ، في بني الحارث من الخزرج ، قبل وقعة بدر .

فسارا حتى مرّا بمجلس فيه عبد الله بن أبي بن سلول^(١) - وذلك قبل أن يسلم ولده عبد الله بن عبد الله بن أبي -

فإذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود ، وفي المسلمين عبد الله بن رواحة رضي الله عنه .

فلما غشيتُ المجلس عجاجة الدابة - أي : غبارها - خرَّ

(١) سلول هذه هي أم عبد الله بن أبي .

- أي غطى - ابن أبي أنفه بردائه ، وقال (لاتغبروا علينا) .

فسلم رسول الله ﷺ ، ثم وقف فنزل ، فدعاهم إلى الله تعالى ، وقرأ عليهم القرآن .

فقال له : عبد الله بن أبي بن سلول : أيها المرء : لا أحسن مما تقول إن كان حقاً ! فلا تؤذنا في مجالسنا ارجع إلى رحلك ^(١) - أي منزلك - ، فمن جاءك فاقصص عليه .

قال عبد الله بن رواحة : بلى يا رسول الله ، فاغشنا - أي فأتينا - في مجالسنا ، فإننا نحب ذلك .

فاستبّ المشركون والمسلمون واليهود ، حتى كادوا يتثأرون .

فلم يزل رسول الله ﷺ ، يخفضهم حتى سكنوا .

ثم ركب رسول الله ﷺ دابته ، فسار حتى دخل على سعد ابن عباد ، فقال رسول الله ﷺ :

« ياسعد : ألم تسمع إلى ما قال أبو حُباب - يريد عبد الله

(١) هذه زيادة عن رواية الصحيحين .

ابن أبيّ - ؟

قال : كذا وكذا .

فقال : أي رسول الله : بأبي أنت وأمي ! اعفُ عنه واصفح . فوالذي أنزل عليك الكتاب ، لقد جاءك الله بالحق الذي أنزل عليك ، ولقد اصطلح أهل هذه البحيرة - تصغير البحرة يريد بها المدينة - على أن يتّوجوه - أي يجعلوه ملكاً - ويعصّوه بالعصاة ، فلما ردّ الله ذلك بالحق الذي أعطاك ، شَرَقَ بذلك - أي غصّ فذلك الذي فعل ما رأيت .

فعفا عنه رسول الله ﷺ .

وكان رسول الله ﷺ وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب ، كما أمرهم الله تعالى ، ويصبرون على الأذى .

قال الله عز وجل : ﴿ لَتُبْلَوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ، وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا .. ﴾ ^(١) .

وقال سبحانه : ﴿ وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا ۖ ۞ إِلَى أَنْ قَالَ : ﴿ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا ۖ ۞

فكان رسول الله ﷺ يتأوّل في العفو عنهم ما أمره الله به ، حتى أذن له فيهم .

فلما غزا رسول الله ﷺ بدرًا ، فقتل الله به من قتل من صناديد الكفار ، وسادات قريش : وقفل - أي رجع - رسول الله ﷺ وأصحابه غانمين منصورين ، معهم أسارى من صناديد الكفار وسادات قريش ، قال عبد الله بن أبي ابن سلول ومن معه من المشركين وعبد الأوثان :

هذا أمر قد توجّه - أي ظهر وجهه -

فبايعوا رسول الله ﷺ على الإسلام ، فأسلموا نفاقاً .

فالحسد مذموم ، وصاحبه مغموم .

وقد حذر النبي ﷺ منه ، فقال :

« إياكم والحسد ، فإن الحسد يأكل الحسنات ، كما تأكل النار

الخطب « (١) .

وقال الحسن رضي الله عنه : ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم
من حاسد : نَفَسَ دَائِم ، وحزنٌ لازم ، وعبرة لا تنفد .

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : لا تُعادوا نعم
الله :

قيل له : ومن يُعادي نعم الله ؟ !

قال : الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله .

يقول الله تعالى في بعض كتبه المنزلة :

(الحسود عدو نعمتي ، متسخطٌ لقضائي ، غير راض
بقسمتي) .

وقال بعضهم :

ألا قل لمن ظلَّ حاسداً أتدري على من أسأتَ الأدب
أسأتَ على الله في حكمه إذا أنت لم ترضَ لي ما وهبُ

ويقال : الحسد أول ذنب عَصِي الله به في السماء ، وأول
ذنب عَصِي به في الأرض :

فأما في السماء : فحسد إبليس لآدم .

وأما في الأرض : فحسد قاييل لهاييل .

وقال بعضهم : إذا سَرَّكَ أن تَسْلَمَ من الحاسد ، فغَمٌّ عليه
أمركَ .

أي لا تُظْهِرْ له ما أنعم الله به عليك .

وقال رجل من قريش :

حسدوا النعمة لما ظهرت فرمّوها بأباطيل الكلم
وإذا ما الله أسدى نعمة لم يُضِرْها قول أعداء النعم
ولقد أحسن من قال :

اصبر على حسد الحسود فإن صبرك قاتله
فالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله

النهي عن التهاجر بين المؤمنين

في الحديث الشريف : « لا يحل لمؤمن أن يهجر مؤمناً فوق ثلاث ، فإن مرت به ثلاث فليلقه ، وليسلم عليه ، فإن رد السلام فقد اشتركا في الأجر ، وإن لم يرد عليه ، فقد باء بالإثم - أي رجع به - وخرج المسلم - أي البادئ بالسلام - » ^(١) .

هذا إذا كان الهجر لأمر دنيوي .

أما إذا كان الهجر لله تعالى . أي بسبب ديني ، فليس من هذا في شيء ، بل يكون الهجر حينئذ فضيلة دالة على الحب في الله والبغض في الله ، وذلك من أوثق عُرَا الإيمان .

والهجر في الله سنة نبوية كريمة .

وقد هجر النبي ﷺ أزواجه رضي الله عنهن شهراً ، وهجر بعضهن أربعين يوماً .

وأمر المسلمين أن يهجروا الثلاثة الذين خلفوا بعد غزوة العسرة وهجرهم خمسين يوماً ، وأمر نسائهم فهجرهم عشرة

(١) أبو داود .

الأيام الأخيرة .

وهجرت السيدة عائشة رضي الله عنها ، ابن أختها عبد الله ابن الزبير رضي الله عنه زمناً طويلاً ، حتى احتال في الدخول عليها ، ووقع على أقدامها وصالحها .

وهجر ابن عمر رضي الله عنهما ابناً له إلى أن مات .

وهجر ابن مغفل رضي الله عنه قريباً له خَذَفَ - أي رمى حصاة بين سبابته وإبهامه - بعد ما أخبره أن رسول الله ﷺ نهى عن الخذف ، فقال له :

أحدثك أن رسول الله ﷺ نهى عنه ، ثم عدت تخذف ؟
لا أكلمك أبداً .

وهجر سعيد بن المسيب رضي الله عنه - وهو من سادات التابعين أباه ، فلم يكلمه إلى أن مات .

وهجر الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه عمه وأولاده لقبولهم جائزة السلطان .

الأمر بالإصلاح بين المؤمنين

قال الله تعالى : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا ، فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا ، فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى ، فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ، فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ .

إنما المؤمنون إخوة ، فأصلحوا بين أخويكم ، واتقوا الله لعلكم ترحمون ﴿ (١) .

مَثَلُ الْمُؤْمِنِ

في الحديث الشريف :

١ - « مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الْخَامَةِ مِنَ الزَّرْعِ - أَيِ الزَّرْعِ اللَّيْنِ - تُفِيئُهَا - أَيِ تَقْلِبُهَا - الرِّيحُ ، تَصْرَعُهَا مَرَّةً ، وَتَعْدِلُهَا أُخْرَى حَتَّى تَهْجِجَ - أَيِ تَيْبَسَ - » (٢) .

٢ - « مَثَلُ الْمُؤْمِنِ مَثَلُ السَّنْبِلَةِ ، تَسْتَقِيمُ مَرَّةً ، وَتَحْزُ

(٢) مسلم .

(١) ٩ ، ١٠ - الحجرات .

مرة .. » (١) .

فالمؤمن معرض للبلايا والحن ، والأسقام والآلام : والهموم والغموم ، تكفر من معاصيه ، وترفع في درجاته ، حتى يأتيه أجله .

٣ - « وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال :

كنا عند رسول الله ﷺ ، فقال :

« أخبروني بشجرة شبه الرجل المسلم ، لا يتحاث ورقها - أي لا يسقط - تؤتي أكلها كل حين .

قال ابن عمر : فوقع في قلبي أنها النخلة ، ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان ، فكرهت أن أتكلم وأقول شيئاً .

فقال عمر : لأن تكون قلتها أحب إليّ من كذا وكذا » (٢) .

٤ - « مثل المؤمن مثل النخلة : ما أخذت منها من شيء

(٢) البخاري .

(١) الحاكم .

نفعك « (١) .

٥ - « مثل المؤمنين في توادهم وتراحيمهم وتعاطفهم مثل الجسد ، إذا اشتكى منه عضو ، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » (٢) .

« المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضاً - وشبك بين أصابعه - » (٣) .

قال العلماء رضي الله عنهم : هذا تمثيل يفيد الحضّ على معاونة المؤمن للمؤمن ونصرته ، وأن ذلك أمر متأكد لا بد منه ، فإن البناء لا يتم ، ولا تحصل فائدته ، إلا بأن يمسك بعضه بعضاً ويقويه ، وإن لم يكن ذلك ، انحلت أجزاؤه ، وخرّب بناؤه .

وكذلك المؤمن ، لا يستقل بأمر دنياه ودينه إلا بمعاونة أخيه ومعاذته ، فإن لم يكن ذلك عجز عن القيام بكل مصالحه ، وعن مقاومة مضاره ، فحينئذ لا يتم له نظام دنياه

(٢) مسلم وغيره .

(١) الطبراني .

(٣) البخاري ومسلم .

ولا دينه ، ويلحق بالهالكين .

لا يدخل الجنة إلا مؤمن

في الحديث الشريف : « لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم » ^(١) .

« من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة ، فلتأتبه منيته ، وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه » ^(٢) .

وفي الحديث الشريف : أن النبي ﷺ قال :

« يا ابن الخطاب : اذهب فناد في الناس : أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون » .

قال عمر : فخرجت فناديت : ألا إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون ^(٣) .

من مظاهر الزيغ

ذهب طالب مسلم ، لدراسة الطب في بلاد أجنبية ، ثم

(٢) مسلم .

(١) مسلم .

(٣) مسلم .

التقيت بقريب له ، فسألته عن حاله ؟

فقال : لقد تزلزل إيمانه ، وأخذ يزيغ !

قلت له : وكيف عرفت ذلك ؟

قال : إنه قال لي يوماً : أنتم تقولون :

كل مؤمن يدخل الجنة ، وكل كافر مآله النار .

فهل من المعقول أن يكون هذا العامي المسكين ، الذي لم ينفع البشرية شيئاً ، مآله الجنة ، لأنه مؤمن ؟ !

وذلك العالم التحرير ، الضليع المخترع ، الذي نفع الإنسانية ، وأسدى إليها مأسدى ، بعلومه الجمّة ، ومخترعاته النافعة العظيمة ، مآله النار ، لأنه كافر ؟ !

قال الشاب الزائع هذا ، وهزّ رأسه مستنكراً مستهجنأ !

فقلت لقريبه هذا : إن مما يؤسف جداً ، أن يغتر أبناء المسلمين ، بثقافات دنيوية ، دون أن تقتن بثقافة إسلامية ، ولا بوعي إيماني مستنير ، فتقوم في أذهانهم أمثال هذه الشبه الواهية ، فيخرجون بها من حظيرة الإيمان ، ويقعون في وهدة الكفر ، وهم لا يشعرون .

وقلت له : قل لهذا الشاب الحائر :

تصوّر أن رجلاً ذا عيال كثيرين ، وله ولدان اثنان :
أحدهما فقير مسكين ، ولكنه برّ بوالده ، ودود له ، يعترف
كل آن بفضله عليه ، ويقابله بعبارات الثناء والإجلال .

والآخر عاق لوالديه ، يُنكر أبوة أبيه ، ويحفوه ولا
يعترف له بفضل ، إلا أنه غني كثير المال ، كثير اصطناع
المعروف ، لا يدع من أهله وعشيرته وعيال أبيه ، إلا أسدى
إليه معروفاً ، فهو يمد فقيرهم ، ويداوي عليلهم ، ويغيث
اللهفان ، ويطعم الجوعان ..

فأي هذين الولدين - في ظنك - أحب إلى هذا الوالد ؟

لاشك أن الفقير البار ، المقرّ بفضل والده عليه ، هو
المرضي عنده والمحبوب لديه ، وإن لم يجد طويلاً أن يُسدي إلى
ذويه وعيال أبيه ما أسدى الثاني .

وأن الثاني الجافي عن أبيه ، المنكر لأبوتّه ، مسخوط
عليه ، غير مرضي عنه ، وإن أسدى من المعروف ما أسدى .

ولله المثل الأعلى ، فالعبد المؤمن به ، والمعتز بربوبيته
يحبه ويرضى عنه ، على عجزه وقصور نفعه ، ويدخله الجنة ،
التي أعدها بحكمته للمؤمنين .

والكافر به ، الجاحد له ، المنكر لربوبيته ، يبغضه

ويسخط عليه ، ويدخله النار على ما أسدى من نفع ،
واصطنع من معروف .

هذا ، والله تعالى حكم عدل ، لا يظلم مثقال ذرة فيجزي
هذا الكافر بحسناته في الدنيا ، بما يختاره له من رخاء
العيش ، وصحة البدن ، ولا يجعل له حظاً في الآخرة .
والله عليم حكيم .

إيمان اليأس مردود

قال الله تعالى فيمن أنزل بهم العذاب من الكافرين :
﴿ فلما رأوا بأسنا ^(١) قالوا :

آمنّا بالله وحده ، وكفرنا بما كنا به مشركين .

فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا ، سنة الله التي قد
خلت في عبادته ، وخسر هنالك الكافرون ﴿ ^(٢) .

وقال تعالى : ﴿ وجاوزنا ببني إسرائيل البحر ، فاتبعهم
فرعون وجنوده بغياً وعدواً ، حتى إذا أدركه الغرق قال :

(١) أي : عاينوا العذاب .

(٢) ٨٤ ، ٨٥ - غافر .

آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل ، وأنا
من المسلمين .

الآن وقد عصيتَ قبلُ وكنت من المفسدين ﴿ ^(١) .

فلم ينفعه إيمانه حين عاين الموت ، ويئس من الحياة .
قال المناوي رحمه الله تعالى في كتابه « فيض القدير على
الجامع الصغير » عند شرح الحديث الآتي :
« خلق الله يحيى بن زكريا في بطن أمه مؤمناً ، وخلق
فرعون في بطن أمه كافراً » ^(٢) .

قال رحمه الله تعالى : ومذهب أهل الحق أن الإيمان
لا ينفع عند الغرغرة ولا عند معاينة عذاب الاستئصال .

وأخذ علماء الأمة الذين عليهم المعول من ذلك إجماعهم
على موت فرعون على كفره ، وأنه لم ينفعه قوله حين أدركه
الغرق :

﴿ آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا
من المسلمين ﴾ .

(٢) الطبراني وغيره .

(١) ٩٠ ، ٩١ - يونس .

وأما ما صرح به بعضهم أن الإيمان ينتفع به ولو كان بعد معاناة العذاب ، فلا التفات له لمخالفته لما حُكي عليه الإجماع .

وكذا ما جزم به في الفتوحات من صحة الإيمان عند الاضطرار ، وأن فرعون مؤمن ، فلا التفات له لمخالفته لذلك ، وإن كنا نعتقد جلالة قائله ، فإن العصمة ليست إلا للأنبياء ..

وفي الحديث الشريف : « لاتقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت من مغربها آمن الناس كلهم أجمعون ، فيومئذ لاينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبلُ أو كسبت في إيمانها خيراً » ^(١) .

« ثلاث إذا خرجن لاينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً » .

طلوع الشمس من مغربها ، والدجال ، ودابة الأرض » ^(٢) .

قال الله تعالى : ﴿ وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم

(٢) مسلم .

(١) مسلم .

دابةً من الأرض تكلمهم : أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون ﴿١﴾ .

وذلك حين يترك الناس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتنتشر المعاصي بلا نكير ، فحينئذ يستوجبون غضب الله تعالى ، ويُخرج الله تعالى تلك الدابة ، فلا يدركها طالب ، ولا ينجو منها هارب ، فتسيم الكافر في وجهه ، ويتميز المؤمن من الكافر .

لا يُنال الإيمان في الآخرة

قال الله تعالى يصف ندامة الكافرين يوم القيامة وذلتهم : ﴿ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم . ربنا أبصرنا وسمعنا ، فارجعنا لعمل صالحاً إننا موقنون﴾ (٢) .

أي آمنا الآن ، وزالت عنا الشكوك ، فاعترفوا بما كان منهم ، ثم طلبوا أن يُردّوا إلى الدنيا ليؤمنوا . وقال تعالى على لسان الكافرين مبيناً ندامتهم في الآخرة :

﴿ فلو أن لنا كرة ^(١) فنكون من المؤمنين ﴾ ^(٢) .

يتمنون العودة إلى الدنيا حين لا ينفعهم التمني .

وقال تعالى يصف مشهداً من مشاهد القيامة ، يدّعي الكافرون فيه الإيمان بالقرآن الكريم أو الرسول ﷺ .

﴿ وقالوا : آمنا به : وأنّى لهم التناوش من مكان بعيد ﴾ ^(٣) .

أي يطلبون الرجعة إلى الدنيا ليؤمنوا .

وهيهات من ذلك ! وأنّى لهم تناول الإيمان في الآخرة ، بعدما كفروا في الدنيا ؟!

وفي الحديث الشريف : « يُجاء بالكافر يوم القيامة ، فيقال له :

أرأيت لو كان ملء الأرض ذهباً ، أكنت تفتدي به ؟

فيقول : نعم .

فيقال له : قد كنتَ سئلت ما هو أيسر من ذلك « ^(٤) .

(١) أي : عودة إلى الدنيا .

(٢) ١٠٢ - الشعراء .

(٤) البخاري ومسلم .

(٣) ٥٢ - سبأ .

أي وهو الإيمان والإسلام في الدنيا .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعاً ، ومثله معه ، لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة ، وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ﴾ ^(١) .

تغريير الكافر بالمؤمن

قال الله تعالى : ﴿ وقال الذين كفروا للذين آمنوا : « اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم »

وما هم بمحاملين من خطاياهم من شيء ، إنهم لكاذبون ﴾ ^(٢) .

ومن تغريير الكافر بالمؤمن ، تزوين الكفر له ، والعمل على إضلاله بأي وسيلة كانت ، كالوعد بمنفعة دنيوية ، أو مصلحة شخصية ، أو تفريج كرب ، أو بذل مال ..

الكافر عدوّ للمؤمن لدود

لقد حذّر الله تعالى المؤمنين من الكافرين فقال :
﴿ إن الكافرين كانوا لكم عدوّاً مبيناً .

(٢) ١٢ - العنكبوت .

(١) ٤٧ - الزمر .

وإذا كنت فيهم ، فأقمت لهم الصلاة . فلتقم طائفة منهم معك ، وليأخذوا أسلحتهم ، فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ، ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك ، وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ، وذ الذين كفروا لو تففلون عن أسلحتكم وأمتعتكم ، فيميلون عليكم ميله واحدة .. ﴿ (١) .

وقال تعالى في المنافقين : ﴿ قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر .. ﴾ (٢) .

الصد عن الإيمان سمة الكافرين

قال الله تعالى : ﴿ وقالت طائفة من أهل الكتاب : آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار ، واكفروا آخره ، لعلهم يرجعون .

ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم .. ﴾ (٣) .

نزلت في كعب بن الأشرف وأضرابه ، قالوا للسفلة من قومهم :

- آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار - أي :

(٢) ١١٨ - آل عمران .

(١) ١٠١ ، ١٠٢ - النساء .

(٣) ٧٢ ، ٧٣ - آل عمران .

أوله - واكفروا آخره ، فإنكم إذا فعلتم ذلك ، ظهر لمن يتبع محمداً ارتياب في دينه ، فيرجعون عن دينه إلى دينكم ، ويقولون : إن أهل الكتاب أعلم منا .

وقال تعالى : ﴿ قل : يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجاً وأنتم شهداء ﴾ ^(١) .

أي وأنتم تشهدون أنه مكتوب في التوراة ، أن دين الله الذي لا يقبل غيره ، إنما هو الإسلام ، وفيها نعت محمد ﷺ .

ثم قال تعالى يحذر المؤمنين :

﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردّوكم بعد إيمانكم كافرين ﴾ ^(٢) .

وقد نهى الله تعالى قوم شعيب عن الصد عن دينه ، فقال :

﴿ ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به ، وتبغونها عوجاً .. ﴾ ^(٣) .

(٢) ١٠٠ - آل عمران .

(١) ٩٩ - آل عمران .

(٣) ٨٦ - الأعراف .

نهي المؤمنين عن مولاة الكافرين

نهي الله تعالى المؤمنين عن محبة الكافرين ومولااتهم وملاطفتهم .

قال تعالى : ﴿ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة .. ﴾ ^(١) .

فالمؤمن إذا كان قائماً بين الكفار ، فله أن يداريهم باللسان إذا كان خائفاً على نفسه ، وقلبه مطمئن بالإيمان .
والتقية لا تحل إلا مع خوف القتل أو القطع أو الإيذاء العظيم .

ومن أكره على الكفر فالصحيح أن له أن يتصلب ولا يجيب إلى التلفظ بكلمة الكفر ، ويجوز له ذلك .

وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ^(٢) ودّوا ما عنتم ^(٣) قد بدت

(١) ٢٨ - آل عمران .

(٢) أي : يقصرون في فسادكم ولا يتركون المكر والخديعة .

(٣) أي : يحبون أن تمقوا في مشقة .

البغضاء من أفواههم ، وما تخفي صدورهم أكبر .. ﴿ (١) 》 .

وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطاناً مبيناً 》 ﴿ (٢) 》 .

أي إقامة حجة عليكم إذ قد نهاكم عن ذلك .

وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء ، تلقون إليهم بالمودة ، وقد كفروا بما جاءكم من الحق 》 ﴿ (٣) 》 .

وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم ، قد يئسوا من الآخرة ، كما يئس الكفار من أصحاب القبور 》 ﴿ (٤) 》 .

وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منهم فإنه منكم ، إن الله لا يهدي القوم الظالمين 》 ﴿ (٥) 》 .

وقد نهى الله تعالى المؤمنين عن موالاة الكافرين ، ولو

(٢) ١٤٤ - النساء .

(٤) ١٣ - المتحنة .

(١) ١١٨ - آل عمران .

(٣) ١ - المتحنة .

(٥) ٥١ - المائدة .

كانوا آباءهم أو أبناءهم .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ
وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ ، وَمَنْ
يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ ^(١) .

وقال عز وجل : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ
أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ، أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ
الْإِيمَانَ ، وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ ، وَيَدْخُلُهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ،
أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ، أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ^(٢) .

نزلت هذه الآية الكريمة في أبي عبيدة بن الجراح رضي
الله عنه ، الذي قتل أباه يوم بدر .

وفي أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، إذ همَّ يومئذ بقتل
ابنه عبد الرحمن .

وقال له ولده عبد الله : لقد رأيتك يوم بدرٍ فحِدْتُ
عَنكَ .

قال له أبوه أبو بكر رضي الله عنه : أما إني لو رأيتك ما
حدتُ عنك .

وفي مصعب بن عمير رضي الله عنه ، إذ قتل أخاه عبيد
ابن عمير يومئذ .

وفي عمر رضي الله عنه إذ قتل قريباً له يومئذ أيضاً .

وفي حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث ، إذ قتلوا عتبة وشيبة
والوليد بن عتبة يومئذ .

ومن هذا القبيل حين استشار رسول الله ﷺ المسلمين في
أسرى بدر ، فأشار الصديق بأن تؤخذ منهم الفدية ، . فيكون
ما يؤخذ منهم قوة للمسلمين ، وقال : هم بنو العم والعشيرة ،
ولعل الله تعالى أن يهديهم .

وقال عمر رضي الله عنه : لا أرى ما رأى يارسول الله ،
هل تمكنني من فلان - قريب لعمر - فأقتله ، وتمكن علياً من
عقيل ، وتمكن فلاناً من فلان ، ليعلم الله أنه ليست في قلوبنا
هواة - أو مودة - للمشركين ..

أولئك رضي الله عنهم ورضوا عنه .

لما سخطوا على القرائب والعشائر في الله تعالى ، عوّضهم

الله بالرضا عنهم وأرضاهم عنه بما أعطاهم من النعيم المقيم ،
والفوز العظيم ، والفضل العميم ..

المؤمن لا تضره سخرية الكافر

قال الله تعالى : ﴿ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ،
وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا ، وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ .. ﴾ (١) .

كان أعداء محمد ﷺ ، يعظمون شأن أنفسهم في الدنيا ،
ويقتبطون بها ، ويسخرون من أتباع محمد ﷺ في طلبهم
الآخرة ، وفقرهم في الدنيا وإقلاهم .

قال خباب بن الأرت رضي الله عنه : كان لي على العاص
ابن وائل دين ، فأتيته أتقاضاه - أي استوفيه منه -

فقال لي : لن أقضيك - أي لن أوفيك - حتى تكفر
بمحمد .

فقلت له : إني لن أكفر به حتى تموت ثم تبعث .

قال : وإني لمبعوثٌ بعد الموت ؟! فسوف أقضيك إذا
رجعتُ إلى مال وولد (٢) .

(٢) البخاري .

(١) ٢١٢ - البقرة .

وقال تعالى فيما يوبخ به الكافرين يوم القيامة :

﴿ إنه كان فريق من عبادي يقولون : ربنا آمنّا فاغفر لنا وارحمنا ، وأنت خير الراحمين ، فاتخذتموهم سخرياً حتى أنسوكم ذكري ، وكنتم منهم تضحكون .

إني جزيتهم اليوم بما صبروا ، أنهم هم الفائرون ﴾ ^(١) .

وقال تعالى : ﴿ إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون * ^(٢) وإذا مروا بهم يتغامزون * ^(٣) وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين ^(٤) .

وإذا رأوهم قالوا : إن هؤلاء لضالّون . وما أرسلوا عليهم حافظين * ^(٥) فالיום الذين آمنوا من الكفار يضحكون * على الأرائك ينظرون * هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون ﴾ ^(٦) .

(١) ١٠٩ - ١١١ - المؤمنون . (٢) أي : على وجه السخرية منهم .

(٣) يعيرونهم بالإسلام ويعيبونهم به .

(٤) أي معجبين بما هم عليه من الكفر ، متفكهين بذكر المؤمنين .

(٥) أي موكلّين بأحوالهم رقباء عليهم . (٦) ٢٩ - ٣٦ - المطففين .

ترغيب الكافر بالإيمان

قال تعالى : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا : إِنْ يَنْتَهُوا ^(١) يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ .. ﴾ ^(٢) .

إسلام وحشي :

وبعث رسول الله ﷺ إلى وحشي بن حرب ، قاتل حمزة رضي الله عنه ، يدعوه إلى الإسلام .

فأرسل إليه : يا محمد ! كيف تدعوني ، وأنت تزعم أن من قَتَلَ أو أشرك أو زَنَى يَلْقَ أَثَاماً ، يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، ويخلد فيه مهاناً ؟!

وأنا صنعت ذلك ، فهل تجد لي من رخصة ؟

فأنزل الله عز وجل : ﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا ، فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ، وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ ^(٣) .

فقال وحشي : هذا شرط شديد : إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً .

(٢) ٣٨ - الأنفال .

(١) أي عن الكفر .

(٣) ٧٠ - الفرقان .

فلعلّي لا أقدر على هذا !

فأنزل الله تعالى : ﴿ إِنْ اللَّهُ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرَ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ ^(١) .

فقال وحشي : يا محمد ! هذا أرى بعد مشيئة ، فلا أدري هل يغفر لي أم لا ؟ فهل غير هذا ؟

فأنزل الله عز وجل : ﴿ قُلْ : يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ ^(٢) .

قال وحشي : هذا نعم ، فأسلم .

فقال الناس : يا رسول الله ! إنا أصبنا ما أصاب وحشي .

قال : « هي للمسلمين عامة » ^(٣) .

الإسلام يهدم ما قبله

إسلام عمرو بن العاص :

قال عمرو بن العاص رضي الله عنه : « لما انصرفنا يوم

(٢) ٥٢ - الزمر .

(١) ٤٨ - النساء .

(٣) الطبراني .

الأحزاب عن الخندق ، جمعت رجالاً من قريش ، وكانوا يرون رأيي ، ويسمعون مني ، فقلت لهم :

تعلمون والله أني أرى أمر محمد يعلو الأمور علواً منكراً ، وإني لقد رأيت أمراً ، فما ترون فيه ؟

قالوا : وما رأيت ؟

قال : رأيت أن نلحق بالنجاشي - أي ملك الحبشة - فنكون عنده ، فإن ظهر محمد على قومنا - أي غلب - كنا عند النجاشي ، فإننا إن نكن تحت يديه ، أحب إلينا من أن نكون تحت يدي محمد ؛ وإن ظهر قومنا - أي غلبوا - فنحن من قد عرفوا ، فلا يأتينا منهم إلا خير .

قالوا : إن هذا لرأي .

قلت : فاجمعوا لنا ما تُهدي به .

فكان أحب ما يهدي إليه من أرضنا الأدم .

فجمعنا له أدماً كثيراً ، ثم خرجنا حتى قدمنا عليه .

فوالله إنا لعنده ، إذ جاء عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه ، وكان رسول الله ﷺ أرسله إليه في شأن جعفر وأصحابه .

فدخل عليه ، ثم خرج من عنده .

فقلت لأصحابي : هذا عمرو بن أمية ، لو قد دخلت على النجاشي ، فسألته إياه ، فأعطانيه ، فضربت عنقه ، فإذا فعلت رأيت قریش أني قد أجزأت عنها حين قتلت رسول محمد .

فدخلت عليه فسجدت له كما كنت أصنع .

فقال : مرحباً بصديقي ، هل أهديت لي من بلادك شيئاً ؟

قلت : نعم أيها الملك ! قد أهديت لك أدماً كثيراً ، ثم قربته إليه ، فأعجبه واشتراه .

ثم قلت له : أيها الملك ! إني قد رأيت رجلاً خرج من عندك ، وهو رسول رجلٍ عدو لنا . فأعطنيهِ لأقتله ، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا .

فغضب ، ثم مدَّ يده ، فضرب بها أنفه ضربة ، ظننت أنه قد كسره ، فلو انشقت الأرض ، لدخلت فيها فرقاً - أي خوفاً منه -

ثم قلت : أيها الملك ! والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتكه .

قال : أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر - يعني الوحي الذي كان يأتي موسى - فتقتله ؟!

قلت : أيها الملك ! أكذاك هو ؟

قال : ويحك يا عمرو ! أطعني وأتبعه ، فإنه والله لعلّ الحق ، وليظهرنّ على من خالفه ، كما ظهر موسى بن عمران على فرعون وجنوده .

قلت : أفتبايعني له على الإسلام .

قال : نعم ، فبسط يده ، فبايعته على الإسلام .

ثم خرجت على أصحابي ، وقد حال رأيي عما كان عليه ، وكتمت أصحابي إسلامي .

ثم خرجت عامداً رسول الله ﷺ لأسلم .

فلقيت خالد بن الوليد ، وذلك قبيل الفتح ، وهو مقبل من مكة :

فقلت له : أين أبا سليمان ؟

فقال : والله لقد استقام المنسم - خف البعير ، أي ظهر الحق وإن الرجل لنبي ، اذهب والله أسلم ، فحتى متى ؟

قلت : والله ما جئت إلا لأسلم .

فقدمنا المدينة على النبي ﷺ ، فتقدم خالد بن الوليد
فأسلم وبايع .

ثم دنوت فقلت : يا رسول الله ! إني أبايعك على أن تغفر
لي ما تقدم من ذنبي .

فقال رسول الله ﷺ : « يا عمرو ! بايع » قال : « الإسلام
يَجِبُ - أي يقطع ويهدم - ما كان قبله . وإن الهجرة تجبُ ما
كان قبلها » .

فبايعته ثم انصرفت . (١) .

وفي رواية : أن النبي ﷺ قال له :

« أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله ، وأن الهجرة
تهدم ما كان قبلها ، وأن الحج يهدم ما كان قبله ؟ » (٢) .

قال بعض السلف : هذه لطيفة من الله تعالى ، من بها
على الخلق ، وذلك أن الكفار يقتحمون الكفر والجرائم ،
ويرتكبون المعاصي والآثام ، فلو كان ذلك يوجب مؤاخذه
لهم ، لما استدرکوا أبداً توبة ، ولا نالتهم مغفرة ، فيسر الله
تعالى عليهم قبول التوبة عند الإنابة ، وبذل المغفرة بالإسلام

وهذه جميع ما تقدم ، ليكون ذلك أقرب لدخولهم في الدين ،
وأدعى إلى قبولهم لكلمة المسلمين ، ولو علموا أنهم يؤخذون بما
سبق منهم ، لما تابوا ولا أسلموا .

وعلى هذا قال الشاعر :

يستوجب العفو الفتي إذا اعترف وتاب مما قد جناه واقترب
لقوله : قل للذين آمنوا : إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف

المغفرة للمؤمن

قال الله تعالى في معرض الثناء على عباده القائلين :

﴿ ربنا إنا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم
فأما .. ﴾

ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع
الأبرار .. ﴾

إلى أن قال : ﴿ فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل
عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضهم من بعض ، فالذين
هاجروا وأخرجوا من ديارهم ، وأوذوا في سبيلي ، وقتلوا
وقتلتوا ، لا كفرن عنهم سيئاتهم .. ﴾ ^(١) .

(١) ١١٣ - ١١٥ - آل عمران .

قال الحسن رضي الله عنه : ما زالوا يقولون : ربنا ، ربنا .. حتى استجاب لهم .

وقال جعفر الصادق رضي الله عنه : من حَزَبه أمر - أي نزلت به شدة - فقال خمس مرات : « ربنا » أنقذه الله مما يخاف ، وأعطاه ما أزداد .

قيل وكيف ذلك ؟

قال : اقرءوا إن شئتم : ﴿ الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم .. ﴾

إلى قوله تعالى : ﴿ إنك لا تخلف الميعاد ﴾ .

أي جاء بعدها : ﴿ فاستجاب لهم ربهم .. ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى ﴾ ^(١) .

وقال أنس : أي : أخذ بسنة النبي ﷺ .

الإيمان يَأْرِزُ إلى المدينة

في الحديث الشريف : « إن الإسلام بدأ غريباً ، وسيعود

غريباً كما بدأ ، وهو يأرز - أي ينضم ويجتمع - بين المسجدين
كما تأرز الحية إلى جحرها « (١) .

« إن الإيمان ليأرز إلى المدينة ، كما تأرز الحية إلى
جحرها » (٢) .

قال القاضي عياض رحمه الله تعالى :

معناه : أن الإيمان أولاً وآخرأ بهذه الصفة ، لأنه في أول
الإسلام كان كل من خلس إيمانه ، وصح إسلامه ، أقى المدينة
إما مهاجراً مستوطناً ، وإما متشوقاً إلى رؤية رسول الله
ﷺ ، ومتعلماً منه ومتقرباً .

ثم بعده هكذا في زمن الخلفاء كذلك ، ولأخذ سيرة العدل
منهم ، والافتداء بجمهور الصحابة رضي الله عنهم فيها .

ثم مَن بعدهم من العلماء الذين كانوا سُرج الوقت ، وأئمة
الهدى ، لأخذ السنن المنتشرة بها عنهم .

فكان كل ثابت الإيمان منشرح الصدر به ، يرحل إليها .

ثم بعد ذلك في كل وقت إلى زماننا ، لزيارة قبر النبي
ﷺ ، والتبرك بمشاهدة آثاره ، وأثار أصحابه الكرام ..

فلا يأتيها إلا مؤمن .

ذهاب الإيمان في آخر الزمان

في الحديث الشريف : « لاتقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض : الله ، الله » ^(١) .

زاد في رواية : وتأتي الريح من قبل الين ، فتقبض أرواح المؤمنين .

الردة عن الإيمان كفر

قال الله تعالى : ﴿ من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ، ولكن من شرح بالكفر صدراً ، فعليهم غضب من الله ، ولهم عذاب عظيم ﴾ ^(٢) .

قال المفسرون : نزلت هذه الآية في عمار بن ياسر رضي الله عنه ، لأنه قارب بعض ما ندبه إليه المشركون .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : أخذ المشركون عماراً ، وأخذوا أباه وأمه سمية ، وصهيباً وبلالاً وخباباً وسالمأ فعذبوهم ، ورُبطت سمية بين بعيرين ، وطعنت بحربة ،

(٢) ١٠٦ - النحل .

(١) مسلم .

فقتلت وقتل زوجها ياسر ، وهما أول قتيلين في الإسلام .
وأما عمار فأعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرها ، فشكا ذلك
إلى رسول الله ﷺ .

فقال رسول الله ﷺ : « كيف تجد قلبك ؟ »
قال : مطمئن بالإيمان .

فقال رسول الله ﷺ : « فإن عادوا فعُدْ »
وقال تعالى في الكافرين مخاطباً المؤمنين :

﴿ ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن
استطاعوا ، ومن يرتدد منكم عن دينه ، فيمت وهو كافر
فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة ، وأولئك أصحاب
النار هم فيها خالدون ﴾ ^(١) .

فالردة عن الإسلام كفر ، ومحبطة للعمل الصالح ،
وموجبة لقتل المرتد إلا إن يتب ويعُد إلى الإسلام .

ولهذا قاتل أبو بكر المرتدين بعد وفاة النبي ﷺ ، فقتل
منهم من قتل ، ورجع منهم إلى الإسلام من رجع .

وفي الحديث الشريف : « لا يحلُّ دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث :

١ - الثيب الزاني : وهو من تزوج ووطئ ، ثم زنى بعد ذلك .

٢ - والنفس بالنفس : وهو القتل بسبب القتل .

٣ - والتارك لدينه المفارق للجماعة » .

وهو المرتد والعياذ بالله تعالى ، فإن لم يتب ويَعُدْ إلى الإسلام يُقْتَل .

علّة المسلمين اليوم ضعف الإيمان

وصل المسلمون الأولون إلى ما وصلوا إليه من العلم والعزة والقوة ، والتصر على الأعداء ، والخلق الكريم والفضل العظيم .. بقوة إيمانهم .

وصار المسلمون اليوم إلى جهل وذلة وضعف وانهزام ، وسوء معاملة وفساد خلق .. بسبب ضعف الإيمان .

وإذا ضعف الإيمان في أمة ، ضعفت فيها الفضائل ، لأنها من ثمرات الإيمان .

فكان في المسلمين الأولين الشجاعة ، والسخاء ، والإيثار ،

والصدق ، والأمانة ، والحياء ، والوفاء بالوعد ، والغيرة على الحق ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر .. وما إلى ذلك من الفضائل ، وذلك بسبب إيمانهم وصار وصف المسلمين اليوم الجبن ، والبخل ، والأثرة ، والكذب ، والخيانة ، والوقاحة ، وخلف الوعد ، وممالة الباطل ، والسكوت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. وما إلى ذلك من رذائل وخصال سوء ، وذلك بسبب ضعف الإيمان .

ومن أجل هذا وأمثاله ، حلت بهم النكبات ، وطمع فيهم الأعداء :

ففي الحديث الشريف : « يوشك أن تداعى عليكم الأمم ، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها .

قالوا : ومن قلة نحن يومئذ يا رسول الله ؟ !

قال : « بل أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن في قلوبكم الوهن .

قالوا : وما الوهن يا رسول الله ؟

قال : « حب الدنيا وكراهية الموت » ^(١) .

(١) أبو داود والبيهقي .

فالمجتمع الإسلامي ، داؤه ضعف الإيمان .

ودواؤه العودة إلى الإيمان الصادق ، واليقين الذي كان عليه المسلمون الأولون .

وإن الإنسانية الحائرة المعذبة الضالة ، لن تجد دواءها وهداها إلا في ظل الإيمان .

فليعمل الدعاة المصلحون المخلصون ، على ردّ الأمة إلى حظيرة الإيمان ، وبجبوحه الإسلام ، لينقذوها من حيرتها وشقائها وضلالها .

والله الهادي إلى سواء السبيل .

ولقد صدق الله تعالى إذ يقول :

﴿ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين * يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ، ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴾ ^(١) .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
الإيمان	٧
تعريفه	٧
الأمر به	٧
أركانه	٨
مكانة الإيمان والمؤمن	٨
صحة المؤمن	١٠
التحذير من أذى المؤمن وخذلانه	١٠
الإيمان أساس قبول الأعمال	١٤
ليس الإيمان دعوى باللسان	١٦
الإيمان والعمل الصالح	١٨
المعصية لاتنفي الإيمان	٢٠
من آمن فقد اهتدى	٢١
شُعَبُ الإيمان	٢٢

٢٣	 حلاوة الإيمان
٢٥	 الناس فريقان : مؤمن وكافر
٣١	 شتان بين مؤمن وكافر
٣٤	 الله تعالى يحب لعباده الإيمان
٣٥	 إعلان الإيمان
٣٦	 يُحكم على الناس بظواهرهم
٤٢	 تنبيه وعظة
٤٣	 المؤمن الحق لا يتأثر بإغراء ولا تهديد
٤٦	 المؤمن الحق يدعو إلى الإيمان بالحق
٥١	 المؤمن معرض للبلاء والفتن
٥٩	 المؤمن مأمور بالصبر
٦٥	 الإيمان منحة إلهية للسعداء
٦٦	 الإيمان كل لا يتجزأ
٦٧	 هل الإيمان يزيد وينقص ؟
٧١	 الإيمان يقوى ويضعف
٧٢	 مما يقوي الإيمان
٧٤	 الخواطر لاتقذح في الإيمان

- المؤمنون قلّة في الناس ٧٦
- لا يُصاحَب إلا المؤمن ٧٨
- الوعد الحسن للمؤمنين ٧٩
- الإيمان رأس البر ٨٣
- تخصيص المؤمنين بالنداء ٨٤
- المؤمن محسود ٨٥
- الحسد نوعان ٨٦
- النهي عن التهاجر بين المؤمنين ٩٤
- الأمر بالإصلاح بين المؤمنين ٩٦
- مَثَلُ المؤمن ٩٦
- لا يدخل الجنة إلا مؤمن ٩٩
- من مظاهر الزيف ٩٩
- إيمان اليأس مردود ١٠٢
- لا يُنَال الإيمان في الآخرة ١٠٥
- تغريب الكافر بالمؤمن ١٠٧
- الكافر عدو للمؤمن لدود ١٠٧
- الصد عن الإيمان سمة الكافرين ١٠٨

- ١١٠ نهى المؤمنين عن موالاة الكافرين
 ١١٤ المؤمن لاتضره سخرية الكافر
 ١١٦ ترغيب الكافر بالإيمان
 ١١٧ الإسلام يهدم ما قبله
 ١٢٢ المغفرة للمؤمن
 ١٢٣ الإيمان يأرز إلى المدينة
 ١٢٥ ذهاب الإيمان في آخر الزمان
 ١٢٥ الردة عن الإيمان كفر
 ١٢٧ علّة المسلمين اليوم ضعف الإيمان
 ١٣١ الفهرس

رقم الإيداع : ٨٨/٤٣١١

الناشر

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع

م.م.ر. القاهرة ١٢٠ شارع الأزهر ص.ب. ١١١ الغورية

ت: ٥٩٣٢٨٢ - ٢٧٤١٥٧٨ - ٢٧٠٤٢٨٠ (٠٠٢٠٢)

فاكس: ٢٧٤١٧٥٠ (٠٠٢٠٢)